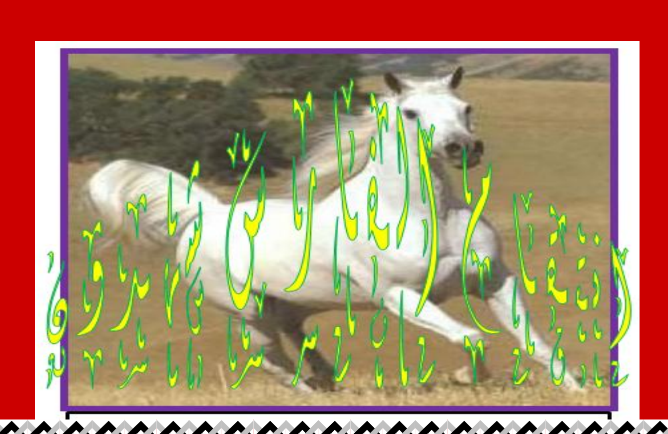
قصص وحكايات الفوارس

انتقام الفارس شهدون

جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١



بسم الله الرحمن الرحيم




١٢
قصص وحكايات
الفوارس

تعلم الحكمة في كهف الشروق حتى شب

ورحل لتعلم الفروسية لحاجة في نفسه

وهي الانتقام والثأر من قتلة أسرته

فخاض الحروب بعصابته

وفي رحلة الفروسية التقى بالوزير الهارب

والأمير المعتزل والعجوز المتآمرة

فصار فارسا يدافع عن الحق

فهل حقق الانتقام ؟

هذا ما سيعرف في نهاية القصة!



انتقام الفارس شهدون

حكاية كهف الشروق

كانت البداية في كهف الشروق في جبل عظيم من جبال الشرق ، هذا الكهف العملاق كان مدرسة من مدارس سالف الزمان، كان الحكيم شردي يستقبل تلاميذه ويعلمهم فيه .. وكان شردي حكيما شيخا هرما عندما بدأت هذه الحكاية .. وشردي هذا له تلاميذ من كافة المدن والقرى في تلك الأرض الواسعة ، وقد وصل كثير من مريديه وأتباعه إلى مراكز ومناصب في إمارات ذلك الزمان ، وكان بعض التلاميذ يأتون من بلاد وأماكن نائية لينهلوا من حكمة شردي والاعتكاف في كهفه الشهير كهف الحكمة والتأمل ، وكان هذا الزاهد الحكيم يقبل الهدايا والهبات من الأمراء والحكام في الولايات المختلفة وينفقها على تلاميذه وضيوفه ، وكان بعض التلاميذ يمكثون عشر سنوات عند الحكيم، وبعضهم أكثر من ذلك ، ثم ينطلقون في الأرض ينشرون أفكار وأحلام شردي الحكيم لإسعاد البشرية وبني الإنسان ، وكان بعض الحكام يقبلون وصاياه التي يرسلها لهم ، ويحترمون كلامه ويقبلونه ويعظمونه ، ومن التلاميذ ما زال ملازما للحكيم منذ خمسين سنة كتلميذه "بزغ" وتلميذه "شرم" ، وكان لهما في قلب سيدهم احترام خاص وكبير، وبعض التلاميذ لهم ما يقارب الثلاثين في كهف الشروق ، منهم التلميذ المشهور بالذكاء والحيلة "حمدون" ، وهذا الرجل يعتبر أمين سر الشيخ الزاهد وله عند سيده مقام محبوب ، وهو أيضا محبوب من أكثر التلاميذ ، فهو جاد وقت الجد ، وهازل وقت الهزل والمزح ؛ ولكن كانت البداية لهذه الحكاية عندما كان حمدون في مهمة خاصة لمولاه الحكيم عند أحد الملوك في بلاد بعيدة قبل أكثر من عشر سنين ، ولما قضى المهمة وعاد باتجاه كهف الشروق وفي غابة من الغابات وجد عند شجرة من الأشجار غلاما يبكي بكاء حارقا للفؤاد وهو دون الخمس سنوات ، فتحدث معه وسأله عن سبب وجوده ، فوجد أنه ضائع تائه من أيام ، فأطعمه وسقاه وحمله إلى الكهف وتبناه وسماه شهدون ، وكان ينادى بابن حمدون ، ونحن الآن بعد هذه الحادثة بعشر سنوات ، وقد شب الغلام وأخذ العلم عن الحكيم شردي وتلاميذه ، وكان شردي يستعد للسفر الأخير، فهو طريح الفراش فراش

الموت ، والمريدون حوله جزعون لرحيله ، ومنهم شهدون بن حمدون ، وبدأت القصة منذ اعلان وفاة الحكيم وجعل بزغ خليفة له بناء على وصية الشيخ ورغبته، تم دفن الحكيم ووري جثمانه التراب قرب نهر الشرق القريب من كهف الشروق ، وقد خيم الحزن على الكهف بشدة وحسرة على فراق الحكيم ، ثم قام المريدون ببيعة الحكيم بزغ بعد دفن الحكيم شردي ، وبعد هدوء الكهف ببضعة أيام تقدم شرم من بزغ قائلا : أيها الخليفة!.. سأمكث أياما ثم ادع الكهف واعتزلك أيها الخليفة أنا وأتباعي إلى كهف آخر بعيد .. فأرجو مباركة ذلك العمل حتى لا نسيء لسيدنا ومولانا الحكيم شردي.. فأنا لا أجد نفسي لك طائعا فاقبل عذري .

تلفت بزغ الخليفة حوله ثم قال بهدوء : لمَ لم تقل هذا أمام مولانا الزاهد أم أنك تحسدني على خلافة الزاهد ووراثتي مكان الشيخ الجليل يا شرم ؟!

فقال شرم : كانت لدي الرغبة بالانفصال ؛ ولكن لمحبتي للزاهد صبرت حتى توفاه الملك العظيم، وكان السيد على فراش الموت منذ سنوات فلا يمكن إزعاجه بالانفصال بعد كل هذه العقود الطوال ، وقد بايعتك على استحياء منه حتى لا يموت وفي قلبه حسرة علينا ، ونفسي لا ترضى بالخضوع لحكمتك ، ولا أحب أن يرانا التلاميذ الصغار في تنافس وصراع على خلافة الزاهد ، وأنت الوريث الشرعي ، أفلا يحق لي أن أرعى كهف الحكمة وانشر فلسفة وحكمة الزاهد؟!.. سأمكث أياما أخرى أبكي على روح الحكيم شردي ، ثم أسيح في الأرض بمن يريد أن يتبعني من التلاميذ ، ولعلنا نعود نادمين إليك أيها الحكيم ! وتطيب النفس لأخذ الحكمة منك ، ولا أحسدك، فالحسد شر أيها الأخ .. أما الفراق فليس بشر.. فهو قتل للشر والحقد والحسد .

فقال بزغ: أيها التلاميذ لقد سمعتم ما نطق به الأخ شرم بحضرتنا من الكلام الأليم، ومن نقضه لبيعتنا إماما لكم ، ولا أحب الفساد في الأرض ، ولا أحب أن أكون جبارا في الأرض ، ولا أحب أن تأخذني العزة بالإثم ، وأمامكم أقول أنني سأفكر وأتامل بكل ما سمعته منه ثم يكون عندي الجواب وحسن الصواب .. عد يا شرم إلى حجرتك ، ولا تخرج منها حتى أنظر

في أمر الانفصال والانشقاق .

وحصل هرج ومرج في الكهف، وغادرهم الحكيم الجديد إلى حجرته بالكهف قبل أن يكمل البيعة لنفسه معهم ، وطلب حمدون للتشاور والتدارس في هذه القضية الكبرى التي يواجهها ، ولما خلا بزغ بحمدون خاطبه قائلا : ما تقول أيها الحكيم الشاب فيما جرى اليوم من الزاهد شرم ؟!

فبعد صمت عميق قال حمدون : سأقول بحرية وصراحة وجرأة يا سيدي الحكيم بزغون .

فقال بزغون ببطء وهدوء : تكلم بكل صراحة وراحة وصدق ، فالأمر جد خطير وكبير ، تكلم ودع الأمانة بين عينيك واجعل الصدق هواك .

فقال الحكيم حمدون : النصح صدق ، والغش كذب ، فاسمع مني الكلام الحصيف يا سيدي بزغون ، فحكايتنا نحن الحكماء تلاميذ الحكيم شردي الآن تذكرني بحكاية سمعناها من الحكيم أيها الحكيم .. حكاية الثور والحمار والكلب .

فقال بزغون ببطء وتأمل : وما حكايتهم أيها الحكيم حمدون ذكرني بها ؟

فقال حمدون : هؤلاء الثلاثة كانوا في مزرعة الفلاح "سمران" ، لقد كانوا في راحة بال ، كل قائم بواجبه خير قيام دون قلق ولوم ، كان الكلب يقوم بحراسة الماعز والغنم والأرض والدار ، وكان الثور يقوم بحراثة الأرض دون كلل وملل ، وأما الحمار فكان ينقل عليه صاحبه سمران الطعام والثمار إلى سوق المدينة ، وكان هذا الحمار يفتخر على صاحبيه براحته وحب صاحبه له دون الآخرين ، ويكرمه بالعلف والعشب والشراب إلى أن كانت ليلة وعاد الكلب من سهرة مع إخوانه الكلاب كما اعتاد أن يفعل في أكثر الليالي، فعندما يرقد الجميع يخرج إلى أصدقائه، ولما عاد تلك الليلة وجد صاحبه في انتظاره ، فلما وصل انهال عليه ضربا بالعصا على ظهره استيقظ على أثرها من غفلته وسباته وفر هاربا صارخا، وعاد مع الفجر متسللا وعرف من الحمار أن أحد الذئاب سلب حملا صغيرا في غيابه ، فهو لم يقم بواجبه ، فعرف الكلب خطأه فابتعد عن البستان والمزرعة ؛ ولكنه أخذ يتردد عليها باستمرار فله فيها

ذكريات وأحلام ، وقد رأى أن صاحبه أحضر كلبا آخر ليقوم بحراسة الدواب والثمار فيأس حينئذ من رضا صاحبه وسيده ؛ ولكنه ظل يتردد على الثور والحمار مظهرا لهما ندمه وأسفه على تفريطه وتقصيره ، وذات يوم شكى له الثور من التعب من كثرة الحرث ، وأن الحمار يفتخر عليه كثيرا ، وأنه حمار سمران المدلل المنعم ، فوجدت هذه الشكوى هوى في نفس الكلب ، فأراد أن يفسد على سمران ثوره وحماره ظانا أنه ينتقم من سمران فقال مخاطبا الثور : يا صاحبي العزيز أنت ثور أحمق وجاهل لا تستطيع تدبير شأنك .. الحمار ألا يستطيع أن يحرث مثلك وتستريح ؟

فقال الثور : يا صديقي الكلب أنا لا أستطيع أن أقوم بعمل الحمار وأحمل سيدي سمران والسلال والأقفاص إلى السوق .

فقال الكلب الماكر : يا عزيزي الثور .. أنت تتعب من كثرة الحرث .. فلماذا لا يساعدك الحمار في هذه المهمة ؟ .. تظاهر بالمرض أيها العزيز وقلل من بلع الزاد الذي يقدم لك ، فتصاب ببعض الهزال ، فيحزن عليك سمران، فيريحك من الحرث ، فيضطر أن يحرث بالحمار وبهذه الحيلة البسيطة تستريح من الحرث .

وبعد صمت عميق قال الثور فرحا : إنها فكرة ! ولابد من تنفيذها ليحرث صاحبي على هذا الحمار المتكبر المتعجرف.

فودعه الكلب وهو يقول : سأعود بعد أيام لأراك متظاهرا بالمرض يا عزيزي الثور .

قام الثور الغبي بتنفيذ الخطة ، فبينما هو يحرث في الأرض صدم نفسه بشجرة كبيرة ، فخر صريعا يخور من شدة الألم خوارا مؤلما ، فانزعج منه الفلاح وحزن عليه صاحبه ونقله إلى الحظيرة ، وقدم له الماء والطعام فرفضهما واستمر في ثورته وهياجه المفتعل ، وقام سمران بمتابعة الحرث بواسطة الحمار وهو خائف على الثور من الموت والهلاك ، ولما شاهد الثور صاحبه يحرث على الحمار سر وعاد له الهدوء وأكل ما قدم له من طعام وماء ، أما الحمار المدلل فقد تألم من الحرث وظهر عليه التعب سريعا فأخذ بالتذمر والسقوط ، وكان سمران كلما

أخرج الثور للحرث، فبعد وقت قصير يطرح نفسه على الأرض متظاهرا أنه ما زال مريضا فيأخذ بالخوار الحاد فيعيده الفلاح لحظيرته ، ويكمل العمل بالحمار ، وبعد حين شكى الحمار للكلب المطرود ما حل به من الإرهاق والعرق والتعب ، وأن الثور يتظاهر بالمرض والضعف والجنون للهرب من الحرث ، فقال له الكلب مشفقا : وأنت يا صديقي القديم تظاهر بالمرض والضعف والإغماء فيضطر سيدك أن يخفف عنك، فيبيع الثور ويشتري ثورا شابا ، وتعود لأيام الراحة والضحك والسرور .

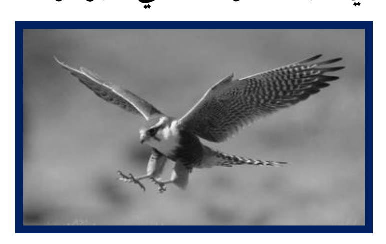
أعجب الحمار بمشورة الكلب فأثنى عليه وشكره وقال : هو ما تقول .. فالثور أصبح حسودا لي وعجوزا أيضا فليأخذه سمران للجزار .

وتركه الكلب ، وترك في قلبه فكرة سوداء ، وأقنعه بتلك الحيلة ، وأظهر الحمار ضعفه ومرضه لسيده ، فانزعج الفلاح سمران من قلة نشاطه وحركته ، ولما يئس من ضعف الاثنين أخذهما للسوق في المدينة، وباع الحمار لأحد الناس، وباع الثور لأحد الجزارين ، واشترى ثورا صغير العمر وحمارا قويا ، وعاد بهما لأرضه .. فهذه حكاية الثور والكلب والحمار يا حكيم بزغون .. فبما أن صاحبنا شرم طامع في الخلافة للزاهد شردي ، وقد اختارك الزاهد لهذا الكهف فدعه ينصرف ويسعى في بلاد الله الواسعة ، وأذن لمن شاء بالانصراف ، فكم من التلاميذ دخلوا هذا الكهف وخرجوا كما تعلم أيام الزاهد الحكيم شردي .. فالحكمة والعلم يحتاجان إلى هدوء وروية ومحبة وخروج من نوازع الحياة الدنيا .. فهذه مشورتي يا حكيم بزغون .

فلما خيم الصمت عليهما قال بزغون : الاتفاق جميل وطيب ، فلو ظل الثور والحمار والكلب على وفاق وقناعة ورضا ، وكلٌ يقوم بدوره ، وكلٌ قام بواجبه ، ولم يدخل بينهم الحسد والكره ما طرد الكلب وما ذبح الثور وما بيع الحمار .. فأنا لا يهمني يا أخي حمدون ذهاب شرمون وغيره من المريدين .. فهذا أمر طبيعي أي الفراق ؛ ولكنه تلميذ عاشر الزاهد طويلا ، ولم تمض أيام على خروج روحه يريد الفراق، فإن خرج من هنا نخشى أن يتقول علينا كثيرا ، ويشكك في وراثتي للحكيم ، وهو كذلك نقض للبيعة الأولى ، فلو بايعني ثم استأذنني في

السياحة في الأرض لكان الأمر غير ذلك..وعلى كل حال لا أحب أن يصير بنا كما صار في غابة الطيور يا حمدون .

فقال حمدون : وما الذي صار في غابة الطيور يا أخي يا بزغون ؟!



فبعد صمت والتقاط نفس عميق قال الزاهد بزغون : اسمع يا ولدي الذي جرى في غابة الطيور ، قيل إنه كان يعيش في إحدى الغابات الكبيرة عدد كبير من الطيور العملاقة ، واجتمعت هذه الطيور ذات مرة على أحد الصقور وقد أصابه صياد بسهم ، ولم يقتله على الفور بل طار ونجا إلى الغابة ، فالتمت الطيور حول الصقر الجريح تواسيه، وتتحزن لما حل فيه، وهو يصيح ويزعق من الألم والوجع، وكثر اللغط بينهم إلى أن قال أحد الطيور : يا طيور الغابة نحن لماذا لا ننصب طيرا منا ملكا علينا ؟ نطيعه ويقودنا للأنتقام من بني آدم الذين يعتدون علينا ، ويصيدوننا فإذا هجمنا معا على الصيادين فروا وخافوا منا ويخشوننا ، ولا نعود نرى مثل هذا المسكين يتأوه ويتعذب بيننا .

فقال طائر آخر متحمسا للفكرة : كلامك مقبول ؛ ولكن العداوة بيننا وبين الصيادين لا تنتهي بتنصيب ملك علينا فهي عداوة جذورها قديمة .. ولكن لا بأس من تنفيذ الفكرة .. إنني أتألم لهذا الصديق المصاب .. المهم يا ولدي حمدون ! أعجب الاقتراح القوم ورأوا في الاجتماع والاتحاد قوة ، فاختاروا أكبر الصقور سنا ونصبوه ملكا ، ثم دفنوا صاحبهم المصاب بعدما فارقته النسمة وهم ينظرون إليه بحسرة وألم .. ولما استقر الصقر الأسن ملكا اتخذ حاشية من الطيور التي بايعته ملكا عليهم وفرض عليم طعاما يقدمونه له كل يوم مقابل تسلطنه عليهم ومضت الأيام وأشرف الصقر الهرم على الموت ودخل في مرض الوداع ، فطلبت منه رعيته اختيار وريث له ، وبعد تفكير عميق وتشاور مع حاشيته المقربين وجد بينهم ثلاثة يطمعون في

الرئاسة والزعامة ، وبعد تدقيق وتدبير اختار صقرا كهلا وبايعته الطيور ومات الملك ، ولما واروه التراب تسلطن الملك الجديد على طيور الغابة ، وبعد حين انشق الطائران الآخران اللذان كانا طامعين في الملك على الصقر الكهل ، وأعلن أحدهم نفسه سلطانا ، وعين الآخر وزيرا وخليفة له من بعده ، وحدثت بين الطيور فتنة ومعمعة ، ورضخ الملك الكهل للأمر وما حصل من المنشقين ، وأما الملك المنشق فقد أعلن أمام أتباعه وأنصاره أنه رفع عنهم وجبة إطعامه هو والحاشية ، فسرت الطيور من هذا العبء الذي انزاح عن كاهلهم ، وزعم أنه مجرد قاض بينهم ؛ ليفض أي نزاع يحصل بين أتباعه، ومع الأيام وجد الملك الكهل نفسه وحيدا وأتباعه يتناقصون ويلحقون بغريميه، فعزم الاعتزال والتنازل عن سلطانه ، فزار الصقر المتمرد وأعلمه برغبته ، وترك الغابة لخصمه اللدود إلى غابة أخرى ، وبعد ذلك قام الوزير بدس السم في طعام الملك الغاصب خفية عنه فأرداه قتيلا ، فهذه يا حمدون قصة غابة الطيور ، فأنا أخشى الفتنة والنزاع وأن تذهب تعاليم وحكم شردي أدراج الرياح .. فالاتحاد قوة.. وإخضاع شهوات النفس للروح قوة .

فقال حمدون: نحن لسنا في غابة طيور أيها الزاهد.. ولسنا نتنافس على ملك دنيا .. نحن كلنا استقينا الحكمة والعلم من الزاهد شردي ، فمهمتنا نشر هذا العلم بين الناس والحكام ..وكم من التلاميذ في حياة الحكيم شردي حملوا العلم وساحوا في الأرض والبلاد ! .

فعاد بزغون يقول : ولكن شرمون طامع بكرسي شردي .. وتنازلي عنه خيانة للزاهد شردي .. على كل سألتقي به مرة ثانية لعله يعدل عن فكرة الانشقاق والانقسام .. وأخبر التلاميذ بلقاء هام ضحى الغد..نحن علينا أن نتنافس في الخير والعلم والحكمة ، ونحذر الشر ونزغ الشيطان بيننا ، ولابد من الإيثار مع الإحسان ، وكذلك من المهم المحافظة على أفكار وتعاليم فيلسوفنا العظيم شردي

ضحى اليوم التالي عقد القوم اجتماعا خطيرا وفاصلا ومهما في كهف الشروق من جبال الشرق العاتية ، وتكلم فيه خطيبا الحكيم بزغون وريث الزاهد شردي كلاما طويلا ، ذكر فيه

فضائل الحكيم الزاهد شردي ، وترحم عليه وبكى وأبكى المريدين ، ومجد وأثنى على التلاميذ الخلص ودعاهم للتمسك بتعاليمه وحب الخير والإيثار من أجل الجميع، وترك الأنانية ، وحب الرياسة ، والحذر من مكر الشهوات ، ثم أعلن في الختام بانفصال الحكيم شرمون عن الكهف ، وأظهر لهم رغبة شرم في تأسيس مدرسة في بلاد بعيدة ؛ لنشر تعاليم الحكيم شردي في هذه الدنيا، وبين لهم موافقته على ذلك ورضاه ، وأنه أذن له بذلك الابتعاد ، ولمن شاء منهم بأن يتبعه ويصحبه، ثم أذن لمن شاء بمغادرة الكهف والسياحة في الأرض ، وبعد أن انتهى الحكيم من خطابه العاطفي انصرف التلاميذ إلى حجراتهم الصخرية ، ودخل شهدون على أبيه حمدون بعذ ذلك الخطاب ، وأعلمه برغبته بمغادرة الكهف وخلع ملابس الزهاد والحكماء والسعي في مناكب الأرض والدنيا ، فتعجب الأب من هذا المطلب ، وذكر له أنه ما زال صغيرا دون العشرين ، والحياة مليئة بالشر والفساد والظلم والقسوة ، فقال شهدون : يا والدي الطيب أرغب في رؤية الدنيا والاحتكاك بالناس مللت من دروس الحكمة .. ونفسي لا تعشقها كثيرا .. أريد أن أتعلم الفروسية والرماية .. أريد أن أملك جوادا وسيفا .

حاول حمدون الحكيم ثني ولده شهدون عن الخروج للدنيا ، وصعب له الفراق وقسوته ؛ ولكن الفتى أصر وصمم على الخروج للدنيا والتعلم منها ، وقال له في نهاية المطاف : اصبر عاما آخر حتى يشتد زندك..يا ولدي فالدنيا مليئة بالأشرار والفجار

فقال شهدون: لابد من الخروج من هذا الجبل ومشاهدة العالم والناس .. أنا بحاجة لدروس أخرى .. الفروسية وركوب الخيل والأفيال وقتل النمور والضباع .

فلما يئس الأب من إقناع ولده وتلميذه شهدون من البقاء ولو عاما واحدا قال : انتظر أياما حتى أكتب لك كتابا إلى أحد ملوك الدنيا.. فالملك جهازون ملك بلاد الفند صديق قديم لي ، ولديه مدرسة لتدريب الفرسان، سأرسلك إليه يا شهدون، وعندما تلقاه ادفع له كتابي ، وانقل له تحيات الزاهد بزغون ، وأعلمه بموت الحكيم الزاهد شردي .

شهدون يغادر الكهف

ولما جهز حمدون رسالة التوصية بولده وتلميذه شهدون إلى ملك بلاد الفند قام الشاب الصغير بوداع الحكماء والتلاميذ ، وتزود ببعض الخبز والماء ، وانحدر من الجبل برفقة بعض التلاميذ الذين قرروا مغادرة العزلة والعلم ، ومن ثم السياحة في الأرض لنشر مبادئ وتعاليم الحكيم شردي ، وبعد أيام دخلوا أول مدينة مأهولة بالبشر، وتركهم شهدون وتابع سيره منفردا بعدما أمضى فيها يومين استراح فيهما وتزود بالطعام والماء ، وبينما هو يمشي وحيدا في أحد الوديان بين جبلين عظميين لمح أمامه خيالا فصاح به فسمعه الخيال فتوقف عن المسير وانتظره وقال : ما بك أيها الغلام ؟ ولم تصرخ ؟

فقال شهدون : يا هذا أين طريقك ؟ .. إنني ذاهب إلى ملك الفند فأرشدني إلى الدرب الصحيح ؟

فقال الخيال : ملك الفند ولماذا ؟!

فقص شهدون قصته القصيرة للخيال بصدق وطمأنينة فقال الرجل : إنها بعيدة أيها الشاب الصغير وتحتاج إلى أسابيع حتى تحل فيها .

فقال شهدون : أين دربك يا أخي ؟ ألست ذاهبا إليها ؟

فقال الفارس : لا ، اسمع أيها الفتى فأنا هارب من قومي ، فأنصحك أن تسير وحدك ، وتبعد عني حتى لا يصيبك أذى بسببي فبعد قليل سترى عددا من الفرسان يطاردونني .

فقال شهدون : ولماذا أيها الفارس ؟!

فرد عليه قائلا : حكاية لا داعي لذكرها على مسامعك ، ولكن امضِ فإذا التقينا مرة أخرى في هذه الحياة الدنيا سأذكرها لك .

فقال شهدون : يا هذا شوقتني لسماع حكايتك !

فقال الفارس : اصغ يا هذا إنني أسمع صوت خيل مقبلة من بعيد وداعا ، ولا تقل إنك رأيتني تذكر الفارس "عيون" يا أخ شهدون .. سلاما عليك .

ووكز حصانه وانطلق يسابق الريح هاربا من مطارديه ، وبعد ساعات أدركت شهدون عصابة من الفرسان فاستوقفوه وسألوه عن الفارس الهارب ، فاحتار شهدون بالإجابة هل يكذب ؟! أم يصدق ؟! ولكنه قال : فارس تبحثون عنه ولماذا أيها الأسياد ؟!

فنهره أحدهم وصاح فيه:هل رأيته؟ فارسا يركب فرسا حمراء سار من هذه الطريق؟

فقال شهدون وهو يهز أكتافه نفيا : أبدا !!

فتركه الفرسان وتابعوا ركضهم ، وتابع بطل قصتنا سيره أيضا حتى دخل بلدة مسكونة فبحث عن مأوى ، فأرشده الناس إلى بيت عجوز القرية، العجوز "شهبانة" ؛ فإنها ترحب بالأغراب والاضياف ، فاستقبلته العجوز استقبالا سارا وقدمت له الطعام الطيب والشراب البارد ، فسر منها شهدون وقص عليها قصته القصيرة ، وحياته في كهف الشروق ، وتتلمذه على يد الحكيم شردي وأبيه حمدون ، وتركه ذلك السكون والراحة والزهد في الدنيا ، وتعلقه في الفروسية ، وأنه سائر لبلاد الفند لتعلمها ، فعرضت عليه العجوز شهبانة المكث عندها ، وأن تكون له أما ترعاه ويرعاها ، وتعلمه صنعة يرتزق منها ، وأنها سوف تنكحه فتاة جميلة طيبة مثله ، وأمهلته ثلاثة أيام يفكر في عرضها ، وفي إحدى الليالي أحس شهدون بحركة في البيت بعد منتصف الليل ، فاسترق السمع فلاحظ أن العجوز استقبلت رجلين فظنهما للوهلة الأولى ضيفين أغراب مثله ؛ ولكنه شعر بحركة قرب الحجرة التي يرقد فيها ، وسمع العجوز تقول لهم : إنه نائم يا حازم .. لماذا جئت الليلة ؟! هل من شيء ؟!

فسمع المدعو بحازم يرد على العجوز : هناك أشياء .. أين تريدين أن نجلس؟ .. فالأمير زمرار مرهق جدا ومتعب .

فبغتت العجوز وقالت وهي تلتفت للرجل الآخر : ويحك ! أمعك الأمير ولم تنطق باسمه ، ظننته أحد رجالك .. اتبعوني إلى غرفتي الصغيرة .

تعجب شهدون من هذا اللقاء وطار النوم من عينيه من لقاء بين عجوز وأمير ورجال ، فحركه الفضول لاستماع كلام القوم ، فتسلل من حجرته إلى غرفة العجوز بخفة الهر، وهناك

تمكن من سماع أشياء غريبة ، علم أن الأمير زمرار أخ لأمير هذه المدينة ، وأنه غاضب على أخيه وطامع في تاجه ، وهو مطارد ورجال الأمير يبحثون عنه للفتك به، وله أنصار في المدينة، ويلتقون في بعض الأحيان في بيت هذه العجوز الماكرة لشهرتها باستقبال الأغراب وفتح بيتها للضيوف وعابري السبيل ، ولما سمع شهدون الحكاية عاد لغرفته يفكر في هذه الحياة وفي هذه الحكاية الجديدة .. فارس هارب يطارده قومه لماذا ؟! وهذا أمير يطارده أخوه لأنه ينافسه على الحكم ؟ وبعد تأمل قال لنفسه : الرحيل خير لي ..وتأوه قائلا : آه يا نفس ! إنني خالفت تعاليم الحكماء والزهاد ..كذبت وتلصصت وتجسست .. لا ، أنا كذبت لانقض الرجل الهارب .. ليتني عرفت قصته قد يكون ظالما .. الفضول داء حذرنا منه الحكيم شردي ، ولكني لم أتخلص منه ، فإني قد مارسته الآن .. نعم ، أنا تجسست لأحذر من هؤلاء الناس .. الرحيل يا شهدون .. الرحيل ..

وبعد انتهاء موعده مع العجوز اعتذر لها ، وبين لها تصميمه على الذهاب إلى بلاد الفند وتعلم الفروسية وعندما يعود سيمر عليها ، ولما أصبح خارج البلدة قال : سأمر عليها .. إنني كذبت عليها متى سأعود ؟ ولماذا أعود إليها ؟! لا أهل ولا مال ولا وطن لي هنا .. اللسان ينحرف إلى الكذب .. من غير وعد لماذا كان الوعد ؟! وداعا يا عجوزتي الطيبة .

مشى شهدون وظل ماشيا حتى أطل على قرية من قرى الدنيا مع ضحى أحد الأيام ، فشاهد حائطا مزروعا بأحلى الأشجار والثمار من جنان العنب والتين والرمان ، فقرر أن يستريح في هذا البستان الجميل، فدخل من مكان مهدوم من جدار البستان ، ولما أصبح في داخل البستان صاح بصوت عال : يا صاح .. يا صاحب البستان ..نادى بصوت عال ، فلم يسمع همسا ولا حسا ، فتناول بعض الثمار فأكله، ثم رقد تحت شجرة فنام من الإرهاق والمشي ، ولم يطل به المنام ، فقد استيقظ على أحد السودان يهزه بشدة وهو يقول : ماذا تفعل هنا أيها الغلام ؟!

فتح شهدون عينيه وجلس فرأى حوله رجلا بثياب جميلة تبهر العيون والأنظار وبين يديه خمسة من العبيد السمران الأقوياء الأشداء كما توحي هيئاتهم ، فلما نظرهم تذكر أنهم

ينتظرون الجواب فقال بهدوء : أنا شهدون بن حمدون من تلاميذ الحكيم شردي الكائن في جبال الشرق.. وأنا سائر إلى ملك بلاد الفند الملك جهازون يا سادة يا كرام .. ونزلت استريح هنا من تعب السفر والترحال وقد ناديت قبل الدخول يا صاحب البستان ، فلم أسمع الجواب ، فوجدت ثلمة مهدودة ، فدخلت منها وأكلت بعض الثمار ، ثم نمت .. فهذه قصتي بالتمام والكمال يا أيها السيد ويا أيها السودان .. أراكم تنظرون إليّ بغضب وشرر يتطاير من أعينكم ما الذي بيني وبينكم ؟!

فقال الرجل الوسيم ذو الثياب الفاتنة : ألم تر رعيان عندما دخلت من هنا يا شهدون ؟

فهز رأسه نافيا رؤية أحد غيرهم ، فقال السيد موضحا الصورة لشهدون : هذا ـ وأشار لأحد العبيد ـ تشاجر مع بعض الرعيان الذين هدموا السور ودخلوا البستان فضربوه ..فأتانا في القصر الكبير فجئنا نبحث عنهم فوجدناك .. واعتبر نفسك أيها الغلام الرشيد ضيفا عندي وحياك الله في قريتنا .

فقال شهدون : جزاك الله خير الجزاء ..فأنت وسيم وكلامك وسيم .. ولا أحب أن أثقل عليك أيها الفاضل فدعنى استرح قليلا وأتابع المسير أيها المفضال .

فاحتد الرجل وقال : هذا لا يكون أيها الضيف .. يا مرحبا.. والتفت للرعيان وقال : أيها الغلمان انظروا خارج البستان وابحثوا عنهم ثم رمموا الجدار .. وهيا أيها الفتى إلى قصرنا الجميل .. فأنت ضيفنا ونحن نحب الضيفان .. فأنا سمعت عن الحكيم شردي ولي أخ من زمرة أتباعه من قديم الزمان .

فقال شهدون بحزن : مات شردي الحكيم منذ أسابيع وتصدر القوم تلميذه الوفي بزغون أيها السيد الفاضل .

وسار شهدون برفقة السيد، وكان حديثهما عن حياة الحكيم شردي وتلاميذه وزهدهم وحبهم للحياة الآخرة ، وعن فلسفتهم ونظرتهم للإنسان والكون ، وبعد زمن يسير وصلا إلى قصر شاهق البنيان بين الأشجار العملاقة وروضات من الأشجار المثمرة والمزهرة تملأ الجو

بأريجها ، وسمع أصوات الخيل والدواب فغبطه شهدون على هذه النعم ، وانتشر الخبر في القصر بقدوم ضيف على السيد مهران ، فجلس الضيف في إيوان القصر وقدم له الشراب البارد وعصير الليمون ، ووضع بين يديه أشكال وألوان مختلفة من الفواكه المحمولة بأواني الذهب والفضة ، وأمضى شهدون نهاره في الفرجة والمشاهدة في قصر السيد مهران ، فتفرج على الجواري والغلمان والطيور والخيول والكلاب والبقر والعجول والأغنام والفهود والصقور، فخيل إليه أنه ينزل في قصر ملك من ملوك الدنيا مما دفعه لأن يقول لأحد الغلمان : هل سيدك ملك من ملوك الدنيا ؟!.

فابتسم الغلام لانبهار الضيف الزاهد وقال : لا .. إنما ورث كل هذا عن والده لقد كان والده من حاشية الملك ملك مدينة الجلاء فأقطعه هذه الأرض فصنع عليها كل هذه الخيرات .

فقال شهدون : وهل المدينة بعيدة ؟

فرد الغلام : هي مدينة تبعد عن هذه القرية مسيرة نصف يوم .

فعاد شهدون يسأل الغلام وهو يتفرج على الحدائق الغناء فقال : وهل لصاحبك ذرية ؟

فأجابه الغلام : ورث مولاي مهران هذه الأرض هو وأخوه من والدهما .. وقتل الأخ في حياة الوالد وبعد أيام تبعه الوالد فانتقل هذا الملك كله للسيد مهران .. ولا أولاد عند سيدي مهران وكان قد تزوج امرأة في حياة والده ، ولما قتل أخوه طلقها واعتزل النساء والزواج ، وهو يمضي جل وقته في الصيد والقنص ومطاردة الوحوش والغزلان .. وله أخت تسكن المدينة تزوجت من أحد أمراء الملك ، وينزل للمدينة بين كل فصل وآخر مرة واحدة ..

وفي المساء عاد شهدون من جولته في أملاك السيد مهران ، وهو يتعجب من فضل الله تعالى على خلقه ثم سأل نفسه : لقد أخبرني مهران أن له أخا من أتباع شردي ولكنه لم يذكر لي اسمه لعله من الاتباع القدماء .. وربما لما عاد إلى بلده قتل .. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ووجد السيد الكبير ينتظره على مدخل القصر فلما رآه قال : أهلا بك أيها الشاب الصغير .. لعلك تمتعت بما رأيت من نعم الله علينا أيها الهاجر الزهد والحكم .

فرد الفتى قائلا : تبارك الله .. ما شاء الله لا قوة إلا بالله .. جنة من جنات الدنيا أيها السيد الكريم إنها تجلب السرور إلى النفس، وتغبط عليها، ولست لك بحاسد، فالجلوس مع الحكماء يزهد الفتى في مثل الجنات .

وبعد تناول العشاء أخذ الرجلان يتحدثان ويتسامران حتى نصف الليل ، ثم طلب السيد مهران أحد عبيده وقال له : امض بالسيد الصغير إلى حجرة خاصة يقضي به ليلته ، وقم على خدمته حتى الصباح .

فشكره شهدون وقال للخادم : دلني على منامي ، وأنا أخدم نفسي أيها السيد الكريم ومع الصباح سأودعك أيها الصديق ، ولعلنا نلتقي ثانية ، وأعرف منك سر قسمات الحزن المرتسمة على وجهك في يوم من الأيام .

فقال مهران بدهشة : على وجهي حزن ؟!

فتبسم شهدون وقال : على مثلي لا يخفى ذا .

فابتسم مهران بدوره وقال : لابد أن أحدهم حدثك شيئا .. على كل حال أشكرك على قبول ضيافتي ، وأحب أن تبقى أياما تستريح من تعب السفر، وأسمع المزيد من حكم وعلم الحكيم شردي .. فالرحلة طويلة أيها الصديق ..

ومضى شهدون إلى غرفة نومه ، ولما استلقى على الفراش تذكر الأيام التي قضاها مع العجوز الطيبة، وشكر الله سبحانه الذي يسخر له هؤلاء الناس، ويحميه من أذى الجبال والوديان والوحوش ، وفي الصباح الباكر كان شهدون يودع مضيفه وداعا حارا ؛ كأنهما أصدقاء منذ سنوات ، وقام السيد باهداء شهدون حمارا وزوده بالماء والطعام والمال رغم أنفه ، وحثه على العودة والحياة معه بعد تبليغ الرسالة .

فابتسم شهدون بعد تقبله هدايا الرجل وقال : سوف أفعل إن شاء الرب سبحانه .

وركب الحمار وانطلق يقطع البلاد والجبال الشواهق حتى أشرف على مدينة جديدة وبحث عن خان ينزل فيه، فدله الناس إلى خان في وسط المدينة ، فاستقبله صاحب الخان أحسن

استقبال، وأنزله في حجرة صغيرة ، وقاد حماره للاصطبل ، وبعدما استراح قدم له الطعام ، فشكره شهدون وتحدث معه قليلا ، ثم دخل حجرة النوم ، وأثناء الليل سمع ضجيجا في الخان ، فاسترق السمع فسمع مالك الخان يتحدث مع رجل قريبا من الاصطبل ، ورآه من شق الباب قد دفع حماره لذلك الرجل وقد قبض منه نقودا ، ثم هدأت بعد حين تلك الضجة ، وغرق شهدون في سبات عميق، وهو يظن أن الرجل سيجلب حملا على ظهر الحمار ، فراح يحلم بحماره وصاحب الخان .



ومع الصباح الباكر سمع دقا على الباب فجفل واستيقظ واستعاذ بالله من الشيطان وشره وقال : من يطرق الباب ؟!

فرد صاحب الخان بضعف مفتعل : أيها السيد الصغير .. افتح الباب لقد حدث أمر .. قضية

قام شهدون منزعجا وفتح الباب وهو يتمتم مستفسرا:ما الأمر يا صاحب الخان؟! هل مات الحمار ؟!

فقال الرجل متظاهرا بالحزن والأسف : يبدو يا سيدي أن أحد اللصوص استولى على حمارك الليلة .. فقد ذهبت صباحا لأضع له العلف ، فلم أجده ، فبحثت عنه فلم أعثر عليه .. فعليك يا سيدي أن تبلغ رجال الحرس لعلهم يمسكون باللص .. لقد سرق غرباء كثيرون .

فهز شهدون كتفيه وهو يسمع ويدير القضية في رأسه وقال متهكما: لا عليك أيها السيد .. ابحث عنه مرة أخرى ، ولما استيقظ تماما سوف أشاركك البحث ، لا تأسف ولا تحزن ، ما هو إلا حمار .. والأمر بيد الله ..

وانصرف سيد الخان متظاهرا ومهتما بالبحث عن حمار شهدون ، وعاد شهدون يحلم بحماره وخيانة هذا الرجل وقال : الحمد لله رب العالمين..خلصتني منه على كل حال..ولن أدفع لك

درهما واحدا يا خبيث جزاء خيانتك.. إيه يا دنيا !

لما استوت الشمس في كبد السماء، وقد تناول شهدون إفطاره وقرر الرحيل، فطالبه صاحب الخان بثمن المنام والطعام والشراب ، فضحك شهدون وقال : خذه من ثمن الحمار .. عندما تجد الحمار خذه أو بعه ـ وغمز بطرف عينيه هازئا ـ لأحد اللصوص .. وخذ حقك .. واعتبر الحمار لك وداعا يا محترم .

بلع الرجل ريقه وسكت فقال شهدون : كم يبق لي من ثمنه ؟ .. على كل حال أيها المحترم سامحتك وداعا يا صاحب الخان ..واحذر عاقبة الخيانة .

رحل شهدون عن هذه البلدة بدون حماره ، وبعد أيام وليال قليلة وجد نفسه خلف قافلة من الجمال والبغال والتجار فلحقها ، وأخذه الحرس الذين يحمون القافلة من اللصوص وقطاع الطرق إلى رئيس القافلة الشيخ الكبير " نادرما " فرحب به شيخ القافلة، واستمع لقصته فاطمئن له وتيقن أنه عابر سبيل وليس عينا لقطاع الطرق أو عينا لأحد الأمراء الغزاة ، واستضافه على مائدته ، وبعد حين ومع الفجر تعرضت القافلة لهجوم عدد كبير من اللصوص الملثمين ، ودارت معركة شرسة بين اللصوص وحرس القافلة استمرت بضع ساعات ، ثم اختفى من نجى من اللصوص في الجبال والكهوف والوديان ، وسقط بعضهم أسرى وبعضهم جرحى ، ولما قدموا لرئيس القافلة علم أنهم من عصابة شديدة الخطورة في هذه الوديان ، وعلم أن زعيمها رجل أعور قوي البأس يدعى " سلطان الزمان " ، فأمر الرئيس بقتلهم ورميهم للكلاب والسباع ، وعجب شهدون من قسوة الزعيم مع كرمه الشديد معه ، فلما سارت القافلة وبعدت عن المكان قال الشيخ : هؤلاء مجرمون أيها الحكيم الصغير!.. أشرار ولصوص أنذال كانوا يريدون سلب أموالنا ، ولو عفونا عنهم سيعيدون علينا الكرة مع من نجا منهم ، فنحن نتخلص منهم ، ونخلص الناس من ضررهم ، ونبقي واحدا منهم حيا جريحا ليخبر قومه بقسوتنا حتى ينتشر الرعب في أفئدتهم ، وما من مرة أدخل هذا الوادي الأسود إلا وأتعرض لعصابة الأعور المسمي نفسه سلطان الزمان .. ولابد يا

ولدي من القسوة والشدة في بعض الأحيان .

ومشى معهم شهدون حتى ساروا في درب لا يوصل لبلاد الفند ، فودعهم وسار في دربه ، وهو يتعجب من أحوال الناس والدنيا ويقارن بحال أهل الكهف الهادىء الوديع ، وبينما هو يمشى وحده غارقا في أحداث الدنيا تفاجأ برجل مقنع يلقي عليه التحية ، فجفل منه أولا ثم رد عليه تحيته بأحسن منها ، وشاهد ثيابه الرثة الممزقة ، فرثى لحاله وحزن عليه وأشفق عليه عندما سمع قصته ، وهي تتلخص بأن لصوصا اعترضوه وأخذوه لكهف وأخذوا منه ماله وطعامه ومزقوا ثيابه ثم طرحوه كسير الجناح ، فقاسمه شهدون طعامه وذكر له بعض قصته ، وسار الرفيقان حتى الليل فمالوا إلى كهف يقضيان ليلتهما فيه ويستريحان من تعب الطريق ، وبعد العشاء تظاهر شهدون بالنوم فهو غير مطمئن من رفقة صاحبه الأشعث "حزوم" فقد رابه شأنه ، وبعد وقت أخذ يتقلب شهدون يمنة ويسرة متظاهرا أنه مستغرق في النوم ومن بين أجفانه المطبقة كان يراقب صاحبه الذي كان هو الآخر يتظاهر بالنوم العميق ، وكان شهدون قد وضع كيس نقوده عند رأسه واحتفظ بالخنجر تحت إبطه ، وطالت المراقبة حتى غلبه النوم من شدة التعب ، ولما دخلت الشمس الكهف نهض من نومه ، فلم يجد صاحبه فقال لنفسه : لم تخف علي هيئته.. لص ساذج غبي ، وأخرج كيس نقوده الثاني من صدره وتفقد نقوده وهو يقول : لن يجد فيه إلا قطعا قليلة من النقود .. وبحث عن جراب الطعام فلم يجده .



بـلاد الـفـند

فقام من مكانه ، وترك الكهف سائرا إلى بلاد ملك الفند جهازون ، ذات نهار أطل شهدون على سهل واسع وشاهد عجبا..المكان ممتلئ بالجنود والرايات والخيول والدواب والخيام والفرسان، فأدرك أن هنا معركة قائمة أو ستقوم ، فاحتار هل يهبط ويسأل أم ينأى بنفسه عن المتصارعين؟ ولكن قبل أن يقرر سمع الصراخ والطبول والصهيل واشتباك بين الطرفين ، فأخذ يتابع الفريقين ومع انتصاف النهار شاهد الجيش الذي أمامه يتقهقر ويتفرق الفرسان يمينا وشمالا ، وخصومهم يطاردونهم وهم يهتفون بالنصر ، وفجأة وجد نفسه أسيرا مع الأسرى موثقا بالحبال ويقاد مع من وقع من القوم، ووضع في إحدى الخيام مع طائفة من الأسرى، وعلم من مرافقيه أن هذه المعركة نشبت بين جند الملك جهازون ملك الفند وملك بلاد الأهوال، لقد قتل أحد أبناء ملك الفند على يد ابن ملك بلاد الأهوال الملك "برديس"، وكانا قد التقيا عند عين ماء وهم يطاردون وحوش الفلاة ، وتشاجرا وتبارزا فقتل ابن الملك برديس ابن الملك جهازون ومن معه من الفرسان، فغضب جهازون وحضر لقتال هؤلاء القوم فالتقوا بهذا السهل ، وقد قتل ابن الملك برديس في هذه المعركة، وهرب من هرب من جنوده وأسر من أسر، ولسوف يسوقونهم أسرى لبلاد الفند، وفي الصباح التالي انتهت المطاردة لفلول الجيش الهارب ، وأمر قائد الحملة الناس بالعودة إلى البلاد للقاء الملك جهازون ، ثم الاستعداد لمعركة جديدة ، فحمل الجرحى من الطرفين على ظهور الخيل والدواب وقيد الأسرى كالأغنام بعد أن تم دفن القتلى ، فكان شهدون يتعجب من حاله ويقول : عجيب يا دنيا .. آدخل بلاد الفند أسيرا مكبلا بالحبال ؟! صبر صبر يا نفس ! "

وبعد أيام دخلت الحملة المنتصرة مدينة الفند، وكان الناس في استقبالهم ، وعلى رأسهم الملك بنفسه ، وعلقت رأس ابن الملك برديس على خازوق أمام أحد أبواب المدينة ليراه الناس ، وقد طيف بالأسرى في أنحاء المدينة ، وهم في غاية الذل والمهانة، ثم أخذهم الجنود إلى سجن الدولة، وتحمل شهدون المذلة والمهانة كباقي الأسرى ، ولما دخل السجن دفع الرسالة التي

يحملها من حمدون لقائد السجن، وترجاه أن يوصلها للملك ، فعجب القائد من أمر هذا السجين ، واستمع لقصته ، ووعده بتوصيلها لملك البلاد بأقرب فرصة عندما تهدأ وتسكن الأوضاع بعد هذا النصر والثأر، وبعد حين دعي شهدون لمقابلة الملك الذي استمع إليه ورحب به أشد ترحيب ، وحزن لما علم بموت الحكيم شردى وقال : رحمه الله .. لقد أمضيت بصحبته خمس سنوات أيها الفتى .. وقلت إن الحكيم بزغون جلس مكانه إنه أهل لذلك .. وأين حمدون الآن ؟

فقال شهدون : انقسم التلاميذ فريقين بعد وفاة شردي الحكيم ، والزاهد حمدون ممن فضل البقاء في كهف شردي، وطلبت منه أن يأذن لي بالانطلاق في هذه الدنيا، وقد اكتفيت بعشر سنوات من الحكمة والعلم ، وأظهرت له الرغبة بتعلم الفروسية لأصير من الفرسان المحاربين .. فلما تأكد ورأى إصراري وتشبثي بذلك أرسلني إليك وذكر لي أنك تعرفه حق المعرفة .

ابتسم الملك لأسيره أو ضيفه وقال : أجل أيها الفتى! فأنا أعرفه حق المعرفة.. كنا أصدقاء وجلست بصحبتهم خمس أو ست سنوات .. وسأنفذ رغبته وإلحاقك بمدرسة الفرسان لتحقق رغبتك في تعلم الفروسية والقوة .

وأخذ الملك يسأله عما درس وتعلم ، فوجده حافظا لمواعظ الزاهد وتعاليمه ، فسر به سرورا طيبا ، وقال مشجعا له : إن أحسنت الفروسية وأتقنتها يا شهدون ستكون من أبطال المدينة ذوي الشأن .

وأرسله مع غلام إلى مدرسة تدريب الفرسان ليبدأ بالتدريب والمران .

مكث شهدون ثلاث سنوات يتعلم ويتدرب على فنون السيف وركوب الخيل والرمي بالنبل والطعن بالرمح ، وبعد مضي هذه السنوات أحضره مدربه الخاص إلى الملك جهازون وقدمه للملك بأنه الآن قد أصبح فارسا من فرسان الملك الأشداء وقوي عوده واشتد ساعديه وعضلاته ، وأنه معد الآن لمبارزة الفرسان ، فجعل له الملك موعدا ليتبارى مع الشجعان ،

وفي اليوم الموعود نزل شهدون لميدان الفرسان على حصان عربي أصيل أعطي له أثناء التدريب والتعلم ، فاستعرض نفسه أمام الملك وحاشيته ساعة من الزمن في كر وفر حتى أدهش الحضور بخفته وحركاته ، ثم نزل له فارس فتصارعا وتطاعنا حتى غلبه شهدون وعلمه ببضع علامات بالزعفران والحناء ، فنزل له آخران ثم ثلاثة ، وكلهم فاز عليهم بنشاطه ولياقته حتى استحسن الحاضرون مهاراته وبراعته ، فأمر الملك حينئذ أن يدخلوه على أسد ليرى شجاعته أمام وحش الفلاة ، فجيء بقفص كبير فيه سبع مهيب ، ووقف الفرسان الأشداء برماحهم على شكل دائرة كبيرة ، وفي وسطها شهدون بحسامه الحاد بدون جواد ، وفتح القفص فخرج الأسد القوي يتمطى ويزمجر زمجرة تدب الرعب في القلوب ، فوجد شهدون الشاب المشهر سيفه أمامه ، فقفز السبع عليه قفزة مرعبة ، فما كان من شهدون إلا أن تلقاه بسيفه على هامه بقلب أقوى من الحجر الصلب ؛ فإذا الرأس يشق قسمين وتناثرت الدماء عليه ، فصاح الناس وماجوا ، وفرح الملك بفارسه الجديد وأمر له بثياب أخرى ، وطلب منه أن يحضر للقصر بعد أن يستريح لينظر في أمره ، وفرح شهدون لمَ صار إليه من القوة والشجاعة ، ومن صموده أمام الأسد ملك الغابة والوحوش وفوزه عليه ، فصاح هاتفا فرحا : أين أنت يا حمدون لتراني ؟! لقد تحقق الحلم .. وأصبحت فارسا من فرسان الملك جهازون .

ثم أردف همسا : ولكن هل سأقتل بقوتي بشرا ؟! هذه أول مرة أرى الدماء تسيل من يدي !.. يا الهي العظيم !.. لا .. لأ .. سأستعمل قوتي في نصر الخير ونصر المظلوم ودفع الأذى عن الضعيف .. ولكن لو أمرني الملك بقتل أحد الناس من خصومه هل أرفض ؟! .. لا تتعجل الأمر أيها الفتى .. سأترك البلاد ولكن أين تذهب ؟ .. إذن لماذا تعلمت الفروسية ؟! .. هناك جرح غامض في الأعماق .. الهروب إلى الغابة البعيدة .. لقد تركت أمي .. هربت خوفا من القتل والسفاحين .. الحياة .. قتل .. دم .. هناك جرح عميق في نفسي يستيقظ .. صبرا أيها الفتى .. إنك لم تنس الماضي مع أنك كنت طفلا ذا خمس سنوات .. أمي أمي ! ماذا جرى لها ؟

تركتها وهربت .. بل هي طلبت مني أن أهرب كانت تقول : اهرب يا ولدي للغابة.. سيقتلونك إنهم يكرهوننا ويبغضوننا إنهم يحقدون علينا .. من هم؟! من هم هؤلاء ؟! يا لثارات أمي .. إني أتذكر دموعها الحارة على خدي ؛ ولكنها كانت تقول : إنهم يقتلون الرجال أبي لم أره ! لقد مات وأنا رضيع هكذا كانت أمي تحدث أخي خلدون .. أين أنت يا خلدون الآن؟! .. عندما ركضت نحو الغابة لم أرك .. هل ركضت قبلي ؟ سأبحث عنك يا أمي .. لقد حققت حلمك وحلمي وأصبحت فارسا .. سأدافع عن المظلومين بسيفي وخنجري .. الخير لابد له من مقاتل محارب .



كان شهدون في الليل في قصر الملك ، وقد لبس حلة ملكية جميلة ، وقد تقلد حساما مرصعا بالجواهر الثمينة ، وكان قد أتى القصر ممتطيا متن جواده وهو ساهم الذهن شارد إلى الأفكار التي تجمعت في ذهنه عندما فتك بالأسد الرئبال ، وكان القصر كله في استقبال شهدون ، وقد أنير بالشموع الكبيرة والقناديل المعطرة، وكان الحرس يحيون شهدون ويباركون شجاعته رغم صغر سنه، وقام الملك جهازون بنفسه يرحب به ويعانقه وهو يهتف : مرحبا بفارسنا الجديد .. مرحبا بشهدون بن حمدون الحكيم .. الآن يا حمدون جمعت العلم والفروسية فيحق لي أن اعتبرك ولدي وأفخر بك.. وقال بحزن : لقد صرع ولدي فعوضني الله الكريم بشهدون الفارس ..يا مرحبا يا مرحبا بالفارس الهمام .

خجل شهدون من كلمات المدح والثناء التي سمعها من فيه الملك وحاشيته وشكرهم بكلام لطيف وبأحلى عبارات الثناء والود والمجاملة، وقد أحس شهدون الحسد في عيون كثيرة لما حباه به السلطان من حسن الكلام والمدح ، ثم عاد الملك يقول وهو مسرور : أيها الفارس

الصغير .. لتصبح فارس مملكتنا الكبير وندا قويا لهؤلاء الفرسان والقادة الذين ينظرون إليك بحسد وغيظ كما أرى في بريق العيون .. فعليك أن تثبت لهؤلاء الأبطال بأنك تستحق ما ألقيته على عاتقك من لطيف الكلام والثناء .. فعليك أن تخرج غدا في حملة من ألف فارس وتغير على بلاد الملك برديس لتشفي غليلي على فقد ولدي المحبوب قتيل الغدير يا ولدي يا شهدون .

جرت همهمة بين الفرسان لكلام الحاكم الغريب فقد سكنت الحرب منذ سنوات بين الخصمين، فأخذت الوجوه تنظر إلى بعضها البعض في حيرة ودهشة، ولما عاد الصمت والهدوء للمكان نطق شهدون الفارس فقال : سأفعل يا ملك الزمان .. وسأسير غازيا لبلاد الملك برديس مع أنك عجلت في هذا الأمر إلي .

نظر الملك وحاشيته ووزير الملك إلى شهدون بعجب لجسارته حتى أن الوزير غضب واحتد وقال : ما هذه الوقاحة أيها الفارس ؟!

فقال شهدون بعجلة وذكاء وهجوم: حتى أنت يا سيدي الوزير لي حاسد ؟! .. إني أرى أن الملك أوسع صدرا منك ، أنا اعتبرت الملك والدي .. أنا عندما أتيت هذا الديار كما تعلم يا مولاي الملك جئت لأتعلم الفروسية ..جئت لأتعلم الفروسية فقط ! وما كنت أحلم بأن أصبح فارسا من فرسان الملك جهازون .. كنت راغبا بتعلم الفروسية والعودة لبلاد الشرق وأبي حمدون .. وبما أن الملك يريد أن يمتحنني ويضعني في ميدان المملكة ومن فرسانها فعليّ أن أكون أهلا لثقة الملك فيّ مع ما أشار إليه الملك من الحسد نحو شخصي الضعيف من كثير من هذه العيون التي تنظر إلي ..فغدا أيها السلطان سأغزو بلاد عدوك برديس .. فأنا أحب الصراحة .. وأبغض التملق .. وعلى كل بعد الحرب إن قدرت لي الحياة سأغادر .. ولكن سأقضي وقتا في بلادكم إذا رغبتم ببقائي قبل الرحيل .

قال الملك : حقا إنك لصريح ولجريء ولقوي يا شهدون وتستحق أن تضع حسامك في خدمة الملوك وتنسى حياة الكهوف .. والوزير قد أساء إليك بحسن النوايا فهؤلاء القوم لم يعرفوا

مثل هذه الصراحة معي ، وهذه الجسارة تفقد الإنسان رأسه ؛ ولكنك غريب وضيف وحكيم فنغفر لك ما قلته أمامنا ، وعندما تعود ظافرا سنخيرك بالبقاء هنا وتحت حمايتنا أو تعود لكهفك عند والدك حمدون والزاهد بزغون .

ونظر إلى فرسانه وحاشيته وصاح منبها : حياة شهدون تهمني أيها الفرسان فلا تسيئوا إليه ..

والتفت إليه وقال له وللآخرين : إنك في أمان السلطان .. اذهب يا شهدون واستعد للثأر .

حيا شهدون الملك وانصرف إلى بيته القريب من مدرسة التدريب التي تلقى فيها دروس الفروسية والقيادة ، وهو يفكر بهذه الحملة التي لا ناقة له فيها ولا جمل كما قيل في المثل ، وفي الصباح الباكر كان الفارس شهدون في ميدان الفرسان يمتطي صهوة الجواد وهو مرتد عدة القتال من الدرع والمغفر والجنود بين يديه ، وكان قد كتب خطابا للملك برديس يخبره بزحفه نحو بلاده للثأر لابن الملك جهازون أو يسلم نفسه للملك جهازون ، وقد انطلق الرسول بخطاب شهدون للملك برديس ، وكان هذا الخطاب حتى لا يأخذهم غدرا وغيلة إنه يريدها حربا متكافئة ، وانطلق الألف جندي بقيادة الفارس شهدون لمنازلة الملك بدريس ، ولما اقترب من بلاد برديس كان الملك في انتظاره بجيشه الجرار ، وفرسانه المغاوير ، وفي نفس السهل الذي حدثت به المعركة التي أسر فيها شهدون سابقا ، فتعجب من الأقدار فقد تذكر عندما وقف يتفرج على المعركة وعلى الفرسان ، وكيف سقط أسيرا ؟! فقال لنفسه : هل ننتصر يا ترى على هؤلاء الرجال ؟

فأرسل غلاما للملك برديس يعرض عليه اللقاء قبل الحرب بين الفريقين ، فرضي الملك ، ونصبت في وسط الميدان خيمة صغيرة وتقدم نحوها القائدان أمام عيون الفرسان من الطرفين خوفا من غدر أحد الطرفين بالآخر، فترجل الفارسان عن جواديهما وتصافحا وتكلما وتجادلا حتى قال الملك برديس : أنا أكبر فيك كرهك للظلم والبغي والعدوان يا فارس شهدون ؛ ولكن أن اسلم نفسي للملك حيا فهذا صعب لا تقبله نفسي ولا جندي ولا قومي ، فنحن لا نحب إراقة الدماء وسفكها والفساد في الأرض .. نعم أخطأ ابني بقتله ابن الملك جهازون ،

ولكن ذلك طيش شباب وتسرع من كلا الفريقين ، وقتل ابني جزاء وفاقا ، فهل يبقى للملك عندي ثأر؟! ابن ملك مقابل ابن ملك .. فقدومكم علينا بعد هذه السنين من الصمت للاعتداء علينا ظلم وعدوان ، ونحن لم نطالب بثأر في مقتل رجالنا وفرساننا ، وتقبلنا الهزيمة لأننا اعتبرنا أنفسنا ابتدأنا بالظلم .. ولا عذر لكم الآن في ظلمنا .

فسكت الفارس لحظات ثم قال : يا مولاي الملك! .. أنا أبغض الظلم ولا أريد أن أسفك الدم الحرام من أجل فلان أو فلان .. فالصلح خير وأريد أن أصلح بينكم هل من حل عند شخصكم ؟

فعاد الملك يقول : لا أستطيع أن أطيعك وأسلم نفسي لمولاك .. ولا أستطيع وأنا أرى أخلاقك الكريمة أن أغريك بالمال لتلحق بي إنني أراك رجلا حكيما وتدافع عن المبادئ التي تعلمتها في كهف الشروق ، مع أنك لو شرفتني في بلادي لزوجتك إحدى بناتي الأميرات ، وأمنحك قصرا جميلا لم تر مثله في الأحلام .

تبسم شهدون وتذكر مهران وبساتينه للحظات وقال: يا مولاي وهل إذا وافقت على عرضك يدع مولاي جهازون قتالك؟ .. لا .. لا ستبقى المشكلة قائمة .. فالحل عندي الصلح ، أما كيف سأعرض عليك رأيي ؟ وأرجو أن تقبله حتى لا نريق دماء هؤلاء الناس من أجل لا شيء .. الحل أيها الملك أن تكتب خطابا للملك جهازون تظهر له الأسف والحزن على ما جرى ، وتبدي رغبتك في الصلح وحقن الدماء وإنهاء حالة الحرب ، وتعرض عليه الوحدة بين مدينتكما ، وتزوج إحدى بناتك لأحد أبنائه أو العكس .. فبهذا لا تراق الدماء ولا يستمر مسلسل الثأر والدم هذه خطتي .

صمت الملك صمتا عميقا وطويلا يفكر بالصلح بين المدينتين وقال في النهاية : دعني انصرف الآن وأتشاور مع القادة بمبادرتك ؛ ولكن هل هذا الاقتراح من عند مولاك ؟

ضحك الفارس وقال : لا ، إنه من عند نفسي لأنني أكره الظلم والاعتداء والعدوان كما قلت لك في أول الكلام ، ولم أرق دما بعد ، وصدق أن الملك جهازون لا يعلم بذلك فإذا كتبت

فسأكتب له أيضا أشد أزرك وأقنعه بالصلح والسلام .. فكر يا مولاي بما جادت به قريحتي لعلنا نحقن دماء الناس .

احتضن الملك الفارس وصاح : إنك نبيل يا شهدون ورجل سياسة وحكمة ولست رجل فتك وسفك .. غدا نجتمع في هذه الخيمة .

وودعا بعضهما البعض ، وركب كل منهما جواده وعاد إلى معسكره .

لما اجتمع شهدون بالقادة الذين تحت إمرته سألوه عما حدث بينه وبين الملك برديس ، ومتى ستنشب المعركة ؟ فقال بهدوء : بذلت جهدي حتى لا تراق قطرة دم .

فعجب القادة لما سمعوا من قائدهم ، فذكر لهم خطته مختصرة ، فازدادت دهشتهم لذكائه وشفقته حتى أن أحدهم صاح : إنك يا شهدون تحب العدل ! ولولا أني خبرتك في ميدان التدريب لقلت إنك تخاف الدماء والموت .

فرد عليه الفارس بثقة قائلا : جئتكم من بلاد بعيدة وحدي ، قطعت فيها غابات وجبالا وأودية وكنت ابن خمس عشرة سنة .. ولو كنت أخاف الموت والدماء ما وصلت سالما أو قطعتها وحدي؛ ولكني جبلت على حب العدل والإحسان وكره العدوان والبغي من غير سبب .. ألم يقتل فرسانكم ابن الملك برديس انتقاما لمقتل ابن ملكنا جهازون؟ .. فلماذا تتجدد الحرب والمعارك ؟! .. إني أرى من بعيد رسولا قادما من جهة ملكنا جهازون .

وصل الرسول في حالة من الإعياء الشديد إلى خيمة القائد شهدون وهو يتمتم قائلا : قطعت المسافة على نفس واحد يا سيدي القائد لأمر جلل وخطير .. هذا كتاب الملك !.

وأخرج الرسول كتاب الملك وقبله وناوله للقائد شهدون ، فتناول منه الرسالة وقبلها وفضها فإذا فيها " عد حالا الوضع خطير والتفاصيل في قلب الرسول "

نظر القائد بخوف وقلق للرسول وقد ظهر التوتر على قادة الفرسان والجند وقال شهدون للرسول : ويحك .. ما الخطب ؟!

بعدما تناول الرسول الشراب وشرب قال : سيدي القائد ! .. بعدما خرجتم من البلاد قدم

نحونا جيش عرمرم يريد غزو بلادنا والتقت الفرسان بالفرسان ، والحرب سجال بيننا..والملك بحاجة للجنود والفرسان الذين معك ويقول لك " دبر الأمر مع الملك برديس وعد حالا " فهؤلاء الغزاة يريدون المال والنساء وتدمير البلد والقضاء على الملك جهازون .

فابتسم شهدون وهو يقول : أرايتم تدبير السماء أيها الرجال ؟! فالظلم ظلمات الآن ـ إن شاء الله ـ ستعرفون من هو شهدون ابن حمدون عندما يدافع عن الحق وأهله ؟

فأرسل رسولا يطلب اللقاء بالملك برديس قبل غروب الشمس الذي دهش للأمر والتقيا في الخيمة خيمة الأمان وقال شهدون : أيها الملك رب السماء يهيئ لك الفرصة في السلام وإنهاء العداوات ، ولكن قبل أن أقل لك ما جدّ في الأمر ما رأي قومك ورجالك في تجادلنا حوله صباحا ؟

فرد الملك:انقسم القوم قسمين ؛ ولكن الأكثر يرغب في الصلح ما الذي جدّ عندكم ؟

قص شهدون الأمر بصدق على مسامع الملك فدهش الملك ثم قال : إنها فرصة للقضاء عليكم !

فقال شهدون : بل فرصة لنذهب معا لدحر أعداء الملك جهازون ، وسيكون هذا موقفا كبيرا لدى الملك ، وسيعيد الصفاء لكم ولهم، واحذر الظلم والغدر أيها الملك .

فقال الملك : إنك يا شهدون شديد الدهاء إن أفكارك تدهش النفوس .. الظلم مرتعه وخيم نعم .. إنها فرصة للسلام إن الأقدار تخدمك يا شهدون .

وفي الصباح التالي كان الجيشان يتحدان بعد أن خدمهما القدر ويسيران نحو بلاد الفند ، وكان الملك برديس يقول لشهدون همسا ومداعبا : إنها فرصة طيبة أيها القائد الصغير لننصبك ملكا على بلاد الفند .

فعاد شهدون يكرر : الظلم سيئ ، والغدر أسوأ ونهايته سيئة ، والخيانة نهايتها الموت والهلاك ، ولا أطمع بمثل هذا المنصب أيها الملك الجميل .

كان الرسول الذي بعثه الملك جهازون قد سبق الجيش يبشر الملك بعودة جيشه المحارب

وبصحبته جيش عدوه ، فانتشر الخبر في المدينة سريعا ، وعجب الناس لاتفاق الطرفين المتحاربين ، وموافقة الملك برديس على محاربة الغزاة مع عداوتها البغيضة .

واطلع الناس على دور شهدون في الصلح بين البلدين ، ثم اطلع الملك جهازون على الرسالة التي وصلته من الملك برديس ورغبته في الصلح والاحتكام للعقل والإنصاف والسلام ، وأمام ضغط الغزاة وما حل بأطراف المدينة من دمار ، وخروج الناس إلى قمم الجبال رضخ جهازون للصلح وتقابلوا في قصر الملك ، وكان اللقاء مشهودا بين القادة والفرسان من الفريقين ، وكان الفضل لشهدون الذي أصبح ذكره على كل لسان ، وقاد شهدون الفرسان نحو ميدان المعركة حيث يتصدى الجنود للغزاة، والتقى بالقادة والفرسان ، واطلع على سير المعارك والمبارزات ، ثم كتب رسالة شديدة اللهجة لقائد الغزاة يطلب منه الانصراف وترك البلاد في سلام ، فهزئ القائد من شهدون ومن جسارته وطلب مبارزته ، وفي الصباح برز شهدون أمام الفرسان فصال وجال في الميدان ، وطلب مبارزة الأبطال فسقط إليه فارسا فأرداه قتيلا مضرجا بدمه ، فأتاه آخر فأضحى صريعا ، فطلب ملكهم أو قائدهم للمبارزة ؛ ولكن زعيمهم أمر بهجوم الجيش ، فبدأت معركة رهيبة بين الفريقين استمرت لليل ، ثم انفصل الجيشان لتالي الأيام ، دارت معارك قوية بينهم لمدة عشرة أيام ، ثم اجتمع الوزير بالقادة والفرسان واستمع لآرائهم في هذه الحرب الضروس الدائرة منذ شهر ، فتكلم القادة والفرسان بآرائهم حتى وصل القول لبطلنا الفارس شهدون، فاقترح أن يرسل خطابا شديد اللهجة للملك الغازي "زهمان" للكف عن العدوان والانسحاب بأسرع وقت ، وفي نفس الوقت نعد خطة هجوم شرسة وقوية كما اقترح القائد " جاليش " نصف الجيش يقاتل في النهار والنصف الآخر عند دخول الظلام حتى سطوع شمس النهار.. وأنا مستعد للقتال في الظلام .

فكتب الوزير رسالة تهديد ووعيد للملك زهمان ينصحه فيها بالابتعاد قبل فوات الأوان ، فجاء الرد بالموافقة على ترك تدمير البلاد إذا دفع الملك جهازون ألف قطعة من الذهب ومثلها

من الفضة وألف ناقة وألف فرس وألف قطعة من الثياب ومثلها من الدروع والسيوف والرماح والمدى وألف جارية فإذا جاءت هذه الآلاف العشرة فعند ذلك يرضون بالصلح ويوافق الملك زهمان عليه ، فلما سمع شهدون بذلك قال : هذا هو البغي والاستخفاف بعينه غدا ننفذ الهجوم الأخير ، وقد أمرت فرساني بلبس ثياب حمراء أثناء الهجوم الليلي ، وأمرت الغلمان بإشعال النيران الضخمة والمشاعل العالية وسيشاركني في الهجوم فرسان الملك برديس وجنود جاليش والنصر من عند الله .

بدأت المعركة صباحا بنصف جيش الملك جهازون ، ودافع الجنود والفرسان دفاعا قويا باسلا عن بلادهم ووطنهم وقد استطاعوا أن يصمدوا أمام هجوم الأعداء القوي وصدوا هجومهم ، ولما أقبل الليل دخل فرسان شهدون المعركة وقاموا بهجوم عنيف ، ويا لها من ليلة ليلاء كأنها ليلة من ليالي السعير ، وتقدمت الجنود تقاتل الأعداء المنهكين حتى وصل شهدون والفرسان إلى خيام الملك زهمان الذي قد ولى هاربا من هول المفاجأة والهجوم الكاسح ، وما بزغت الشمس حتى كانت جيوش الملك جهازون تطارد فلول الجيش المنهزم في الوديان والجبال ، وطلب شهدون من جنود النهار الاستمرار في المطاردة قبل أن يلملم المنهزمون فلولهم ، وكانت أخبار النصر الكبير قد وصلت لقصر الملك والشعب فعمت الأفراح في البلاد .

فلما عادت الجنود والعساكر للمدينة وهي مظفرة ومكللة بأكاليل النصر والسرور أمر السلطان بإقامة الأفراح والولائم لمدة سبعة أيام من خزائن الملك ، وارتفع صيت شهدون بعد هذه المعارك ، وزادت شهرته ، وأثنى عليه الجميع أشد الثناء ، وأقروا له بالفروسية وحسن القيادة والتدبير، وأيضا كثر الحساد له ، وقام الملك باستقباله وأهداه فرسا من أفراسه الخاصة ودرعا وسيفا وخوذة ورمحا ودبوسا ومدية ورغبه بالزواج من ابنة الوزير، فشكره شهدون وذكر مكارم الملك وقال : يا مولاي .. أنا أحب أن تزوج أحد أبنائك الكرام من بنات الملك برديس لتصفى النفوس .. كما اقترحت عليه ونصحته ، وأما أنا فما زلت صغيرا على الزواج ..

بل إني أفكر بالرحيل والعودة لأبي حمدون ، فلي أكثر من ثلاث سنوات مفارقه ، ولم أسمع عنه خبرا .

ومكث شهدون في بلاد الفند حتى شهد اكتمال الصلح بين البلدين وزواج الأمراء بين المدينتين ، وودع الأصدقاء والأحباب ، وغادر البلاد عائدا إلى بلاده .



عصابة سلطان الزمان

مضت أيام وشهدون يقطع البراري والقفار على متن جواده الهدية من الملك جهازون ، وذات مساء قبل هبوط الظلام وبينما هو يسير في أحد الوديان إذ أحاط به عدد من الخيالة ، وصاح به أحدهم بصوت مرعب : انج بنفسك أيها الرجل المتدثر بثياب الفرسان .. وانزل عن حصانك، وهات مالك ولك حياتك.

أوقف شهدون جواده وتلفت حوله ثم قال بكل هدوء : من زعيمكم أيها الأبطال ؟

فتقدم رجل ضخم كأنه الفيل وهو يضحك برنة عالية ساخرة وقال : أنا الزعيم أيها الشاب الناعم المدلل !.. فهذه ثيابك تدل على أنك من أبناء اليسار والثراء .. ولقد سمعت ما قال شهوان .

فظل شهدون ينظر إلى الزعيم بقوة وقال : أنت رئيس هؤلاء الأوباش ـ والتفت لرجاله ـ هل هو حقا سيدكم ؟

فهمهم الرجال بصوت مرعب وعيون تقدح منها الشرر حتى أن أحدهم قال : إن الزعيم يصبر عليك كثيرا .. حتى ثيابك يريدها الزعيم سلطان الزمان .

فقال شهدون : إذا فعلت ما تريدون هل تدعون لي حياتي ؟ واستل سيفه بسرعة البرق وتابع كلامه وهو يلوح بسيفه : فهذا السيف هدية من الملك جهازون ملك بلاد الفند ، وهو مرصع بالجواهر النادرة التي لا أظن أنكم رأيتم مثلها وهزه وصاح : انظروا إلى هذا السيف الملوكي ، وهذا الحصان أيضا هدية من الملك جهازون وهو من خيوله الخاصة فما وقع بين أيديكم مثله على ما أظن .. وهذا السرج الذي أجلس عليه من أفضل السروج وأثمنها وهو هدية من الملك برديس بن قان.

سال لعاب اللصوص مع بعض القلق من ذكر أسماء هؤلاء الملوك ، ثم تشجع الزعيم وصاح : أيها الغلام .. أتسخر منا ونحن عصبة ؟!

قال شهدون : أيها السادة .. هذه بضاعتي ـ وأخرج قلادة من عنقه ، ولوح بها أمام أعينهم ـ

وتابع قائلا : وهذه القلادة هدية من الملك برديس أيضا .

فصاح أحدهم : إنك تثير لعابنا للفتك بك .. ماذا تريد بهذا العرض المغري ؟!

فقال شهدون : ماذا أريد ؟! .. حقا ماذا أريد ؟ .. هذه الأشياء تستحق مني أن أدافع عنها .. أليس كذلك يا سلطان الزمان ؟ .. وأنا لا أحب الغدر أيها السادة .. فاعلموا أنني شهدون بن حمدون أطلب منكم أن تدعوني أمر من هذا الوادي بدون قتال وإلا أفنيتكم جميعا أو أموت دونها.

همس أحدهم في إذن الزعيم الأعور بكلام ، ثم قال الأعور لشهدون : يا هذا سمعنا عن شجاعتك وعن بسالتك .. ولك الأمان منا حتى تخرج من هذا الوادي .. على أن تعطينا من بعض ما معك ..

قال شهدون : الحمد لله على النعم .. وعلى الشجاعة يا سادة ! ما رأيكم بأن تدعو هذه القرصنة ، وتلحقوا بي وبخدمتي، وتتوبوا إلى الله ، وتدافعوا عن الخير، وتحاربوا الظلم كما رسمت لنفسي .. فالأشرار كثيرون في الدنيا.. وأنا أعلم أن الذي دفعكم لقطع السبيل هو الظلم والفقر والجوع .. وأنا مثلكم مظلوم .. هربت إلى الغابة وأنا ابن خمس سنوات ، وتركت الصدر الحنون صدر أمي ، وتكفلني رجل كريم فعلمني حب الخير والضعفاء والمساكين من بني البشر .. وتعلمت السيف وفنون القتال وخططه والكيد ومكره لأحارب الأشرار ، وأرفع الظلم عن كل مظلوم ألتقي به ، وبما أننا التقينا وأنتم مثلي مظلومون فاتبعوني ولنتحد على مقاومة الظلم وإنقاذ الضعفاء والمظلومين في أي مكان !

وتكلم شهدون عن الطغاة والطغيان والظلم والفساد والفقر والخير والشر حتى أبكى العيون من حسن كلامه وتعابيره حتى أنه نزل عن الجواد ، وترك الحذر ، وأحاط به الرجال وهم يبكون ويصيحون ولسان حالهم يقول : لم نسمع بمثل هذا الكلام من أحد قبلك يا شهدون !

ولما هدأت العيون ودقات القلوب الباكية قال الزعيم الأعور : لقد سحرتنا يا شهدون يا أبا الضعفاء والمساكين .. نحن عبيد لك افعل بنا ما شئت .

فقال شهدون بتأثر بليغ : بل أنتم أحرار كما جئتم إلى هذه الدنيا ، وكلنا عبيد لرب العبيد والعباد ، نحن ضحايا الظلم والظالمين.. وأنتم بأفعالكم هذه تظلمون ، وفي كل مرة تعترضون قافلة لتنهبوها تفقدون بعضكم ، من نجا اليوم قد يقتل غدا ، وكل محروم يلجأ إليكم .. ولكن الدائرة تدور على الباغي ، ويموت الإنسان منكم ولا أحد يترحم عليه .. ويموت ولا أحد يهتم بدفنه وموارته التراب .. أما الإنسان الذي يدافع عن الحق فهو ممدوح في الدنيا والآخرة .. فهو يموت من أجل غاية.. فلنغير من نفوسنا ونعاهد الرب العالي بالدفاع عن الحق والمظلومين .

وما بزغ النهار حتى كان شهدون زعيما لهؤلاء الأشرار ، وقد لانت قلوبهم القاسية ، وكلهم رغبة في تنفيذ أوامره ، وانطلق الزعيم وجماعة منهم واحضروا صناديق المال التي أحرزوها من خلال عملهم في سلب الناس ، وأحضروا بقية الرجال معهم فإذا هم ما يقارب الخمسين رجلا.. وفي أول مدينة اشترى لهم شهدون ثيابا جديدة وخيولا وسيوفا لمن لا يملك سيفا وفرسا ، حتى أن ملك تلك المدينة وصله خبرهم فأرسل إليهم واجتمع بشهدون وعرف منه قصته معهم ، فباركه وأثنى على قدرته وشجاعته وقال : لقد كان يزعجون رعيتي بين الفينة والأخرى فجزاك الله خيرا لقد خلصتنا من شرورهم .

ومنحهم المال والخناجر الجميلة على سبيل الذكرى ، ولما تجهزوا رحل بهم شهدون إلى مكان وأخذ في تدريبهم وتمرينهم على فنون الدفاع والهجوم ، وبعد زمن يسير كان بين يدي شهدون أربعون فارسا، كل عشرة منهم تحت إمرة عريف، وكان سلطان الزمان رئيسا عليهم وأمير القوم شهدون الفارس الحكيم ، كان شهدون يرغب في البحث عن أهله أمه وأخيه خلدون ، فظل يمشي بهم حتى وصل للغابة التي وجده فيها أبوه حمدون ، وعند شجرة عملاقة جلس شهدون يبكي حتى عجب منه فرسانه ورجاله فقال له الزعيم : ما الأمر يا أميرنا ؟ .. إنك تبكي بكاء حارا ومؤلما !

استمر الشاب بالبكاء والقوم حائرون حتى رأوه تنهد أخيرا وقال : أيها الطيبون سأذكر لكم

قصتي .. منذ سنوات بعيدة فقدت أمي ، تركتها في المدينة ، وأتيت إلى هنا هاربا ؛ لأنجو من القتل .. هكذا قالت لي أمي .. كنت صغيرا ذا خمس سنوات .. هربت أمام إلحاح أمي إلى هذه الغابة ، ثم التقطني الحكيم حمدون وهو عائد من سفرة من سفراته ، فنقلني إلى كهف الشروق في جبال الشرق ، ورباني وعلمني القراءة والكتابة وبعض العلم حتى مات سيد الكهف الحكيم شردي، فانقسم القوم إلى فريقين وخرج فريق من الكهف ، فقررت أنا بدوري ترك العلم لأتعلم ركوب الخيل والفروسية ، فأرشدني والدي حمدون بأن أذهب لبلاد الملك جهازون بكتاب منه ، فهو صديق له ، وقد تعلمت الطعن والضرب والرمي في ثلاث سنوات ومكثت بعد التدريب سنة ، ثم قررت البحث عن أمي ، فالتقيت بكم ، وجرى بيني وبينكم ما تعلمون ، فهذه حكايتي ، أريد أن ألقى أمي لأعرف الحكاية ، لماذا دفعتني إلى الهرب للغابة قبل حضور الرجال ؟! .. من هم هؤلاء الرجال الذين تخاف أمي منهم عليّ ؟!

فقال سلطان الزمان : إنها قصة محزنة يا سيدي الأمير! .. ستجد أمك التي كانت تخشى عليك القتل من هؤلاء الرجال ، ومن أجل ذلك حثتك على الهرب إلى الغابة .. ستجدها إن شاء الله

فقال شهدون : أرجو ذلك .. أيها الاخوة الطيبون .

وبينما هم في هذه الأشجان سمعوا صراخا آتيا من أحد أطراف الغابة فقال أحد الرجال : هل سمعتم يا سادة ما سمعت ؟! صوت بل أصوات تصرخ .

أشار شهدون لرجلين أن ينظرا الأمر لعل أحد الناس يحتاج لمساعدتهم، فانطلق الرجلان وعادوا بعد حين وهما يقولان : هناك مجموعة من العبيد ، ومعهم عدد من النسوة يعذبونهن .

فقفز شهدون على جواده وقال للقوم : اتبعوني .

وانطلق سريعا إلى مكان الصراخ وحوله رجاله ؛ فإذا بعدد من العبيد وبينهم ثلاث فتيات مشدودات الوثاق ، وهن يصرخن من الضرب بالسياط ، وفوجئ العبيد بالفرسان تحيط بهم على صورة دائرة ، فقفز بعضهم على خيلهم ، فقال شهدون بصوت مرتفع : ما الحكاية ؟!

فصاحت امرأة منهن : أنقذنا منهم يا سيدي الفارس .. سأقول لك أنا الحكاية .

فصفعها الرجل الذي هو قريب منها، فصرخت ، وقال لها والنار تتطاير من عينيه : اخرسي أيتها الحمقاء .

فقفز شهدون عن جواده ، واقترب منه وصفعه على وجهه صفعة قوية طرحته على الأرض ، فاستل الرجل خنجره وأخذ يزمزم ويدمدم وهو يقول بغضب عنيف : ويحك ألا تحترمنا وتخشانا ؟

وانقض على شهدون ؛ ولكنه قبل أن يصل إليه هجم عليه ثلاثة رجال فصرعوه وسحبوا منه الخنجر وأوثقوه بعمامته ورموه بين يدي شهدون ، وأمرهم الأمير بحل وثاق الفتيات وقال مخاطبا العصابة : من كبيركم ؟

فقال رجل منهم والشرر يتطاير من عينيه الحمرواتين وقال : أنا زعيم القوم أنصحكم بتركنا ولا تغتروا بكثرتكم ، فرجالي كثيرون وسوف يأتون بعد قليل ودعوا شأن هؤلاء النسوة ، ولا تأخذكم الحمية والشهامة فنحن أهلهن .

اقتربت الفتيات بعد أن فك الرجال قيودهن من شهدون وهن يقلن : لا تتركنا أيها الشاب إنه مجرم .. إنه سفاك إنه متعطش للدماء .

أمر شهدون رجاله أن يقدموا لهنّ الماء والطعام وهو يقول : ما الحكاية ؟!

فقال زعيم السودان : لا حكاية ولا شكاية .. انصرف أيها الفتى إنني أراك صغيرا على مقارعة الفرسان .. أنا العبد البطل الصنديد " دوان " فارس الفرسان ومذل الشجعان .

ضحك شهدون لافتخار العبد وقال له ساخرا : فارس الفرسان! وأشجع الشجعان! وتهين العذارى وتخطفهن يا دوان ..الفارس الحق ما يعرف البغي والعدوان.. تكلمي يا فتاة عن قصتكم مع فارس الفرسان العبد الصنديد دوان ؟

احتج دوان بشدة ، فأمر شهدون رجاله بربط كل العبيد بالحبال ، وهم يصيحون ويولولون .

فقال شهدون : لما نسمع الحكاية من البداية وإلى النهاية ننظر في أمركم أيها الكرام .. تكلمي أيتها الفتاة الصغيرة ، ولا تخش شيئا وأنتن الآن في حماية سلطان الزمان والفارس شهدون بن

حمدون .

نظرت الفتاة التي تريد أن تتكلم للعبد دوان نظرة كلها خوف وقلق ثم قالت: يا سيدي الفارس أنا ابنة ملك بلاد السمر ، وأولاء أختاي ، فنحن ثلاث أميرات يا سيدي شهدون .. وهذا العبد من فرسان أبي ، وهو فارس شديد البأس ، وله أفضال كثيرة على أبي والبلدة ، وأبي الملك يحترمه ويكرمه هو وجميع فرسانه الزنج غاية الإكرام والاحترام إلى أن كان يوما رآني فيه فطمع بالزواج مني ، وأرسل لي بهدية ثمينة مع امرأة من فصيلته ، وحدثتني عن رغبته بالاقتران بي ، فاعتذرت لها بأدب ورفضت الهدية وتجاهلت الأمر، فما كان منه إلا أن كلم أبي بالأمر ، فاستغرب والدي طلبه ، واعتذر له هو الآخر بأدب واحترام ؛ ولكن دوان أصر وأغلظ القول لأبي ، فطرده أبي هو ورجاله من البلد إلى أن كنت أنا وأختاي في نزهة قرب النهر ، فخطفنا رجاله وأتوا بنا إليه ، وكان في انتظارنا في هذه الغابة .. فهو يعذبنا ويهيننا لاحتقارنا إياه ، فهذه القصة يا سيدي الفارس شهدون .

فقال شهدون متعاطفا : طبن مقاما أيتهن الأميرات .. فأنتن الآن بأيدي أمينة بإذن الله ، ولابد أن أباكن يبحث عنكنّ ، كم تبعد مدينتكن عنا ؟

فقالت إحداهن : نصف نهار جهة الشرق .

فأمر شهدون بحمل الفتيات على خيولهم، وحمل دوان وأعوانه على خيولهم ، وتحركت القافلة مع المساء ، ومع نصف الليل كانوا يدخلون مدينة السمر التي كانت في قلق وغضب على اختفاء الأميرات الثلاث ، ولقد فرح السلطان فرحا كبيرا عندما اجتمع ببناته من جديد ، واحتضن شهدون ورجاله وهو يقول لهم : أنا مدين لكم أيها الفرسان ! فيحق لك أن تأخذ تاجي وملكي ، لقد أعدتـم لي شرفي وكرامتي .. لقد غفلت عن مكر دوان .

وأنزلهم الملك في قصر الضيافة ، وأمر بحبس دوان ورجاله حتى الصباح لينظر في أمرهم ، وأمر بتشديد الحراسة عليهم .

ولما طلع النهار وارتفعت الشمس في السماء كان الملك همام يستقبل شهدون وسلطان الزمان

في إيوان القصر ، وكرر شكره لهم ثانية ، ورحب بهم أجمل ترحيب ، وبينما هم يتحدثون أعلن الحاجب عن وصول الوزير الذي دخل ، فوجد الديوان عامرا بالفرسان والوجوه الغريبة ، فأصابته دهشة فاقترب من الملك وهو يتلفت في الوجوه ، وكان ينتظر أن يتكلم السلطان ، فقال السلطان معرفا بوزيره : هذا وزيرنا يا أمير شهدون .

وكان شهدون يحدق النظر بشخص الوزير، فقد رآه من قبل ، ونظر الوزير بدوره إلى الرجل الذي خاطبه الملك بشهدون فرآه أصغر القوم ، وسمعه يخاطبه قائلا : أيها الوزير ! .. لقد التقينا منذ سنوات في أحد الأودية .. وأذكر أن اسمك عيون يا هذا ؟!

دهش الوزير وأخذ يتذكر فقال : نعم ، اسمي عيون.. وكيف التقينا إني لا أتذكر؟! .. ذكرني أيها الأمير ؟

فقال شهدون وهو ينظر للملك المستغرب من معرفة الشاب الفارس شهدون لوزيره عيون : نعم ، إنك لا تذكر ، إنك كنت يومها هاربا من مطارديك .. وسألتك يومذاك عن بلاد الفند ، وذكرت لي أن لك قصة وقلت لي إذا التقينا ثانية ستروبها لي .. يا سبحان الله! ها نحن اجتمعنا ثانية .. واعلم أنني يومها التقيت بعد فرارك بمطارديك وكذبت بأنني لم اركـ.. ولقد كانت أول كذبة تكون مني يا سيدي الوزير من أجلك!

دق الوزير على رأسه وقال متذكرا ذلك اليوم وبدا مرحا : إيه والله !! .. إني بدأت ألمحك في صفحات المجهول .. ولكنك كنت صغيرا جدا يومها ، وقلت إنك من تلاميذ الحكيم شردي إني أتذكر تلك اللحظات الخاطفة .

فقال شهدون وهو يهز منكبيه باسما : نعم .. أيها الوزير حياك الله وبياك ..

رحب الوزير بشهدون وتعانقا عناق الأصدقاء بعد غياب طويل ، وسر الملك لتعارفهما ، وقص على مسامع الوزير والحاشية حكاية شهدون والأميرات المخطوفات ، وصنع الملك وليمة كبيرة لشهدون وفرسانه الأربعين ، وفي المساء استضاف الوزير شهدون ، وبعدما استقر بهما المكان قال الوزير وهو يضع بين يدي شهدون تفاحة كبيرة :أيها الفتى حدثني بحكايتك ،

يومذاك رأيتك في حال واليوم في حال آخر!

قص شهدون على الوزير حكايته منذ التقيا في الوادي ، ثم وصوله لبلاد الملك جهازون والتدرب على الفروسية ، ومشاركته في الإصلاح بين الملك جهازون والملك برديس،ومحاربتهم للملك زهمان وانكسار جيشه، ثم التقاؤه بسلطان الزمان، ومن ثم التقاؤهم ببنات الملك همام في الغابة بين يدي العبد دوان ، وفي النهاية قال : هذه قصتي أيها الوزير عيون .. والآن أحب أن أسمع حكايتك التي وعدتني بسردها في يوم من الأيام .. وها قد قدر الله لنا اللقاء .. فهات ما عندك يا سيدي الوزير .

قال الوزير : أيها البطل الهمام .. قبل أن أصبح وزيرا للملك همام كنت قاضيا في هذه المدينة ، ذات يوم اشتكى رجل بأن أحد الأمراء غصبه ضياعه واحتال عليه ، وأخذها منه وطردوه من البلد ، فجاءني وروى لي حكايته مع ابن الملك الأكبر ، فاتصلت بالسلطان وذكرت له الشكوى والرجل المظلوم ، فغضب الملك على ولده ونفاه من البلد إلى مدينة تحت حكم ملك صديق له ، حاولت ثني الملك عن هذا النفي ؛ ولكنه أصر على النفي .. ومولانا الملك يكره الظلم والبغي والإثم ، فحقد عليّ هذا الفتى حقدا قاتلا ، وكان له أصدقاء فأخذوا بمضايقتي ومعاكستي ، فقررت ترك البلد سرا ؛ لأن الملك عجز عن حمايتي فهربت بالخفية ، ويومها رأيتك بالوادي ، وقد علم بعض رجال ابن الملك بخروجي سرا ، فعندما علموا بهربي قاموا يطاردونني ، وظللت أكثر من سنة أتنقل من مكان إلى آخر، ولما سوّى الملك الأمر بينه وبين ابنه أرسل يبحث عني ، فلما هدأت الأمور أيها الصديق عدت وجعلني الملك وزيره وعزلني عن القضاء ، هذه هي قصة هربي أيها الصديق العزيز ، وقد عادت المياه لمجاريها كما يقولون ، وخف التوتر بيني وبين ابن الملك بموته ، فقد هلك في أحد أسفاره .. وقصة هؤلاء العبيد أنت تعرفها .

وأمضى شهدون وبعض رجاله الليلة في ضيافة الوزير ، ولما ظهر الصباح ساروا لديوان السلطان فرحب بهم الملك ترحيبا كبيرا ، وبعد ساعة من الزمان أطلع شهدون الملك وحاشيته

برغبته ورجاله بالرحيل للبحث عن أمه التي فقدها منذ أكثر من خمسة عشر عاما ، فأكرمه الملك ورجاله بالهدايا والسيوف وصحبهم لطرف المدينة ، ورجع لتخت الملك يحكم ويرسم

وأما شهدون الحكيم وعصابته فواصلوا المسير إلى الغابة وقبل أن يدخلوها إذ بهم يفاجئون بدوان ومعه مائة من العبيد والأعوان ، وكان يعترضهم وهو يقهقه بصوت يتجاوب صداه في الفضاء ، وكان شهدون ورجاله في دهشة من هذه المفاجأة الحقيقية ، فقد تركوه في السجن ، فصاح شهدون وقد سيطر على نفسه وأعصابه : بهذه السرعة وجدت فرصة للهرب .

فاستمر في قهقهته وهو يصيح ساخرا : أنا في انتظارك من أول يوم أيها المنقذ .. أنا لم أقض في السجن إلا بضع ساعات.. أنت أيها الغر لم تعرف دوان أخذتنا على حين غرة .. وانشغل الملك بالترحيب بك والثناء على بطولتك..وأنا أعددت لك هؤلاء الرجال الأشداء ليثخنوك بالجراح ويرسلوا رأسك لذاك الملك الرعديد .

فقال شهدون : جميل هذا! .. أنت الآن مستعد للنزال ؟ .. فلنتبارز ومن قتل صاحبه فالرجال الآخرون في حل .

أخذ دوان يضحك ويزمجر ويقول بثقة كبيرة : ستموت أنت وهؤلاء الأنذال اللئام .

وأشار لرجاله بالهجوم ، وكان رجال شهدون على أهبة الاستعداد فتصدوا لهجومهم ، وبدأت المعركة ويا لها من معركة ! .. وصبر رجال شهدون ساعة من الزمان ، فأخذ رجال دوان يتململون أمام ضربات شهدون وفرسانه ، وكان دوان يشجعهم ويمنيهم بالغنائم والذهب بفوزهم؛ ولكنهم بدأوا يتساقطون واحدا تلو الآخر، واقترب شهدون من دوان وكان بينهما عراك شديد تكسرت فيه الرماح ، وفجأة رأى دوان يده تطير من ضربة سيف حاسمة وسقط عن جواده ، فتركه شهدون يولول ويصيح وهجم على رجاله الذين أخذ أكثرهم بالتقهقر والنجاة بالروح ، ثم خلا الميدان منهم بعد اختفاء صوت دوان ، فبحث شهدون عن دوان فلم يجده فقال : لقد قطعت يمينه ، ولم أكمل عليه وها هو قد هرب .

شوك الفلاة

تفقد شهدون رجاله ، فلم يقتل منهم أحد بفضل الله إنما هي بعض الجراحات ، قد كان شهدون قد دربهم أحسن التدريب ، وهم يلبسون الدروع وبين أيديهم أشهر السيوف في ذاك الزمان ، وداووا جراحاتهم ، وبعدما استراح الفرسان عدة ساعات تابعوا السير نحو الغابة التي دخلوها مع جنح الظلام ، فقرروا المبيت فيها فأشعلوا النيران ، وتناوبوا على الحراسات حتى الصباح ، ومع شروق الشمس استيقظ الرجال ، وكانت طريقهم إلى مدينة تسمى "شوك الفلاة" ، ونزل شهدون على أحد أطراف المدينة ، وأخذ سلطان الزمان وبعض الفرسان ودخل المدينة يسأل عن أم خلدون ، إنه ما زال يرسم في مخيلته المنزل القديم، ذهب إلى هناك وسأل، لا أحد يعرف من هي أم خلدون؟ لا أحد يتذكر صفتها؛ ولكنهم صدفوا رجلا كهلا قال له : يا هذا.. إنني أتذكر رجلا كان يعيش هنا منذ عشرين سنة بهذا الاسم .

وساقهم حيث المنزل، ولكنهم لم يجدوا صاحب البيت فيه، وكانت قرب البيت شجرة فجلسوا تحتها ينتظرون الرجل المذكور، وبينما هم يستريحون في ظل الشجرة العملاقة اقتربت منهم شرذمة من الفرسان بقيادة رجل كهل كث اللحية جهوري الصوت يقول لهم : أيها الرجال أنتم مقبوض عليكم بأمر الحاكم .

فقال أحدهم : ولماذا ؟ ألأننا غرباء عابري سبيل ؟! .

فقال الرجل : أرجوكم اتبعونني ومن غير جدال ، ولا احتجاج ، ولا فوضى ، وهناك تكلموا بما أردتم .

فقال شهدون : أيها الرجل سنذهب معك ؛ ولكن هذا ـ وأشار للدليل ـ ليس منا هو منكم جاء بنا ليدلنا على رجل يعيش هنا اسمه سعيدون فاسمح له بالانصراف

فقال الكهل : كلامك لطيف أيها السيد ، ولكن لا أسمح لأحد بالانصراف فمطلوب مني أن أحضركم جميعا .

قال شهدون : حسنا أيها البطل الشهم اركبوا أيها الرجال على خيولكم واحملوا معكم أخاكم

فعاد الرجل الكهل يقول : مهلا أيها الرجال .. لا تركبوا أخشى أن تهربوا .. سلموا أسلحتكم وخيولكم وإلا ..

فاحتد شهدون وقال بحدة: إلى هنا وبس !.. إما أن نركب خيولنا وعلى جنوبنا السيوف وإلا القتال يا هذا .

فأشار الكهل إلى رجاله فأخرجوا سيوفهم واستعدوا للقتال .. وفي هذه الأثناء كان شهدون قد قبض على الكهل فجأة وطرحه أرضا وهو يقول : لا ينفع معك إلا هذا ..

ثم كتفه وشد وثاقه ، ثم قال لفرسان الحاكم ورجاله : هيا سيروا بنا إلى مولاكم الحاكم .

وأشار لسلطان الزمان بإحضار الفرسان ، فتخلف سلطان الزمان عن القافلة على حين غفلة ، وبعد ساعة من الزمان كان شهدون يطرح الكهل أمام الحاكم الملك خبرون وهو يقول : ما علمنا في البلاد التي جبناها شرقا وغربا أن يتعرض لنا ملك بالأسر والهوان .

وقف الملك خبرون مضطربا وغاضبا وقال : هذه جريمة كبرى أيها الفارس !

فقال شهدون : شهدون بن حمدون الحكيم .

فقال الملك بغضب : من رعايا أي ملوك الدنيا أنتم ؟

فقال شهدون : من رعايا ملك هذه البلاد .

فاحتار الملك وقال : ماذا ؟! أتهزأ بنا أيها الفارس ؟!

فقال شهدون بصدق : معاذ الله .. أنا من هذه البلاد شوك الفلاة ..

وقص قصته قصة هربه للغابة قبل سنوات ، فلما انتهى منها التفت الملك إلى وزيره ونظر إلى عينيه نظرات عميقة ثم هتف دهشة : أيمكن هذا ؟ .. ولكنك قلت أن أباك حمدون ؟

فقال : الحق أنني لا أعرف أبي جيدا ، لقد هلك وأنا رضيع ، وكان يدعى على ما أذكر "سالمون"، ولي أخ اسمه خلدون ، وتركت أما، وهربت من العدو المجهول للغابة، فكفلني الحكيم حمدون في كهف الشروق فصار أبي .. ولكن الأصل أنني من هذه البلدة ..

كان الملك كلما ذكر علما من الأعلام أثناء كلام شهدون ينظر إلى وزيره فإذا الوزير يقول

هامسا : لقد اعتقدنا أن ذرية سالمون هلكت جميعها .

فاشتد غضب الملك وهو يحدق النظر في عيني وزيره الذي قال : لا عليك يا ملك الزمان أمر ومضى .

فقال شهدون والريبة تغزو قلبه : إني أسمع كلاما أشعر بأنه يخصني أيها الملك هل تعرفون أبي يا كرام ؟!

فقال الملك: لا يا شهدون .. فأنت قادم تبحث عن أهلك وأمك ولكن نصيحتي إليك بأن تترك البلد وتخرج فورا ، وسوف أعفو عنك لتجرئك على خادمي وإن قبضت عليك مرة أخرى فمصيرك السجن والموت .

فضحك شهدون وقال : ما هكذا تتحدث الملوك العادلة ؟ .. فأنا صديق ملك بلاد الفند الملك جهازون ، وصديق الملك برديس ، وكثير من الملوك ما رأينا أحدا يخاطبنا بالظلم ويطردنا ، ولا يساعدنا في البحث عن أسرتي التي فقدتها منذ عمر .

فنهض الملك عن كرسيه وقال : لا أحب أن أسمع مثل هذا الكلام في حضرتي ، وأنا صبّرت نفسي عليك .. أنا أعفو عنك لصداقتي لملك الفند .. ما هذه الضجة يا وزيري ؟!

خرج الوزير وعاد بعد قليل وهو يقول : فرسان هذا الرجل يسألون عنه .. انظر إليهم الفارس حتى يطمئنوا على حياتكم .

شكر شهدون الملك وقال : هيا أيها الفرسان .. إلى اللقاء يا ملك الزمان .

فقال الملك بغضب : إنك جسور .

فرد شهدون : ألم تسمع بي أيها الملك الصنديد فاسأل صديقك ملك الفند ؟

وغادر القصر سريعا وخرج من المدينة على عجلة ، وهناك عقد اجتماعا مهما مع فرسانه ، وفي هذا الاجتماع تقرر خطف الوزير لمعرفة حقيقة سالمون، وفي مغارة كبيرة في أحد الجبال اتخذت مقرا للنوم وتدبير الخطط نزل شهدون وفرسانه ، وبدأ يرسل الرجال بثياب العامة إلى المدينة متنكرين ليرسموا حيلة يصطادون فيها الوزير .

مضى شهر من الأيام ، وقد نسي الملك ووزيره شهدون وجماعته ، وقد تجمع لدى شهدون معلومات عن قصر الوزير وحركاته ؛ وذلك بواسطة العيون التي سكنت المدينة ، في الليل يتسلل أحد الرجال ويلتقي بالعيون ، ويأخذ منهم الأخبار وينقلها لشهدون ، وقبل تنفيذ الخطوات الأخيرة من خطة خطف الوزير، تنكر شهدون على صورة رجل أعمى ودخل المدينة برفقة رجل يقوده ، وزار قصر الوزير ونظر موقعه وعدد حراسه، ثم سار لبيت سعيدون ولم يجده ، وبعد أيام من تنكره عاد للكهف ، ووضع الخطة النهائية لخطف الوزير وزير الملك خبرون ، وقبل تنفيذ الخطف لاستجواب الوزير، نزل شهدون البلدة سرا ورتب الأمور والتقى بالرجال الذين نزلوا وسكنوا المدينة ، وبالقرب من منزل الوزير بعد ثلثي الليل ترك رجاله حول القصر ، واقترب من حراس القصر ، وطلب عريفهم وذكر له رغبته في مقابلة الوزير لأمر هام ، وأمام إصرار شهدون على لقاء الوزير وعدم تصريحه بالسر الذي يريد أن يبوح به للوزير ، أرسل عريف الحرس جنديا للوزير الذي رفض المقابلة في مثل هذا الليل وفي مثل هذا الوقت المتأخر من الليل ؛ ولكن الجندي لما ذكر له اسم شهدون بن حمدون وبعد تردد أذن له بالدخول عليه، ولما التقيا قال له الوزير غاضبا : هل عدت للمدينة مرة أخرى ؟! .. ألم يحذرك الملك من البقاء هنا ؟ وما هي الأسرار التي ترغب في نقلها اليّ في مثل هذا الوقت ؟!

فقال شهدون بصوت خفيض : لقد غادرت المدينة أنا والفرسان ؛ ولكن بعد زمن وقع في نفسي أنك تعلم سر اختفاء أمي وعائلتي فجئت إليك لأسمع القصة وأعدك أنني بعدما تطمئن نفسي لما عندك من الحقائق أن ادع المدينة والتحق ببلاد الفند أو كهف الشروق أيها الوزير .

فغضب الوزير بشدة وغيض وقال : ألهذا جئت اليّ ؟! .. أيها الجنود اطردوه وانبذوه خارج القصر .

نهض شهدون وهو يقول : شكرا لك .. سأخرج بنفسي لا داعي للطرد والشدة .

وقاده الجنود إلى خارج القصر ، فشكرهم على تعاونهم وعاد للجبل ، وبعد أيام ثلاثة طلب من رجاله تنفيذ خطة خطف الوزير كما رسمها ، كان لشهدون عين حول قصر الوزير ترصد الموقف ، وقبل السحر تقدم فارس متنكر بلباس حرس السلطان ، وطلب رئيس حرس الوزير وقال له بشدة متظاهرا أنه يعرفه : يا همران ألم يأتك "بلمز" - اسم أحد خواص الملك - لقد أرسله الملك باستدعاء حضرة مولانا الوزير .. فالملك يرغب بلقائه ، وقد تأخر "بلمز" ، ولم يحضر الوزير فأرسلني مولاي الملك إليه .

فقال رئيس الحرس : لم يحضر "بلمز" وهل أنت جندي جديد ؟!

رد الرجل : لا.. ولكني التحقت بحرس الملك حديثا .. لقد كنت من جنود حرس مولانا القاضي مشهورون .. عجل بإخبار الوزير بحاجة الملك إليه .. لا أريد أن أعود ثانية سلام .

وتظاهر بالانصراف فصاح رئيس الحرس : تمهل يا هذا حتى أتكلم مع سيدي الوزير .

فقال الرجل : صديقك شبل .. أخبره أن الملك يريده في بستان الورود قرب النهر إلى اللقاء .

ابتعد شبل ، ودخل الحرسي ،وأيقظ الوزير ، وأطلعه على رسالة السلطان ، فنهض ولبس ثيابه وقال : أين الجندي ؟

فرد أحد الحرس : ذهب أمامك يا سيدي ليطمئن الملك على قدومك .

فقال رئيس الحرس : هل اتبعك يا سيدي ؟

فقال الوزير : حديقة الورد ليست بعيدة .. لا داعي .

ومشى الوزير وحده في جوف الليل نحو حديقة الورود حتى توارى عن قصره ، وانحرف يسارا نحو طريق يؤدي إلى الحديقة المذكورة ، وفيها اقترب منه رجلان بلباس حرس الملك وقال أحدهم : سيدي الوزير هل حضرت ؟

فرد بسرعة : نعم .

فقال أحد الحرس : نحن في انتظارك يا سيدي .

واقتربا من الوزير ، وقام أحدهم بوضع يده على فمه فإذا هو مكبل بالحبال بدون صوت ،

ومشوا به مائة خطوة ، ثم حمل على بغل، ومن مكان إلى آخر أصبح الوزير في كهف الجبل ، ووجد نفسه بين رجال تقدح عيونهم جمرا ، ثم قدم له طعام وماء ، ولا أحد يكلمه حتى أشرقت الشمس ، وبدأت الحياة يوما جديدا .

دخل شهدون على الوزير المخطوف ، وهو يلبس إحدى ملابسه الأميرية التي حصل عليها من ملوك الفند وبرديس ، وبعد التحية قال شهدون بقوة : اسمع أيها الوزير باختصار أرغب معرفة الحكاية من البداية وإلا أرسلت رأسك إلى مولاك الملك ، وسوف يكون هو الآخر هنا بعد أن يرى رأسك مضرجا بالدم بين يديه .. أريد أن أعرف قصة أمي وأبي وأخي خلدون .

فرد عليه الوزير بسخط وحقد : لا كلام عندي أيها الجبان الغادر .

فرد شهدون: أتيتك بالحسنى .. جئت القصر لأسمع فطردتني .. فكيف سأجبرك على الكلام إن لم أخطفك لتـعرف قوتنا وتفوه بها في صدرك من أسرار ؟

فقال الوزير: لا أتكلم إلا بحضرة السلطان .

ففكر شهدون بشرط الوزير وقال : كيف يكون ما تريد ؟!

قال الوزير بحقد: تصرف ..

فجحره شهدون لحظات ثم قال بعنف : حسنا ، بعد ثلاثة أيام سأعود إليك ثانية لعلك تبوح بالأسرار عندما تذوق طعم الأسر والهوان .

لقد اضطربت المدينة اضطرابا شديدا على اختفاء الوزير، وأصابت الدهشة الملك وحاشيته وقد احتاروا في تفسير غياب الوزير .. ومضت ثلاثة أيام ولا حس ولا خبر عن الوزير ، وفي الجبل أصر الوزير على عدم الحديث ، وهو يعلم علم اليقين أن شهدون لن يقتله قبل أن يعرف سره العميق ، التقى به شهدون مرة أخرى ، ولكنه رفض الكلام ، فلما يئس منه أخبره بأنه سيظل سجينا حتى تضعف نفسه عن المقاومة ، ووقع في نفسه خطف الملك خبرون وتشاور شهدون مع رجاله في ذلك وقال سلطان الزمان : إذا كان في خطفه يؤدي للغاية التي تسعى إليها من كشف السر فافعل مع في ذلك من أخطار.

فقال شهدون بحزن قاتل : إني أريد أن أعرف مصير أهلي .. لو تكلم اللعين لتركته وغادرت هذه البلدة إلى مكان نرى فيه ظلما فنرفعه عن الناس .. أريد أن أرتاح يا سادة .

وأخذ في البكاء والنشيج حتى أبكى القوم معه ثم قال : دعوني أفكر أيها القوم .

وبينما هم يودعون زعيمهم إذ دخل أحد الرجال قائلا : لقد وجدنا الرجل الذي نبحث عنه منذ دخلنا هذه المدينة وقد أحضرناه .

دخل الرجل العجوز ، فرحب به شهدون ، وأمر له بالطعام والماء، ولما استراح من صعود الجبل سأله الفارس الحزين عن أم خلدون فقال الرجل بألم واضح في كلامه ونبرات صوته : نعم ، إني أذكرها أيها الفارس .. لقد كنت جارا لها منذ سنوات طويلة ؛ ولكن ما علاقتك بها وما شأنك بها ؟!

تمالك شهدون نفسه وأعصابه وقال : سأقول لك فيما بعد أيها الشيخ الطيب ما شأني معها ؛ ولكن قل لي أين هي الآن ؟ وما تعرفه عنها ؟ فإن ذلك يهمني .

حسن الشيخ الكبير من جلسته وقال : بما أنكم غرباء ولستم من أهل هذه البلدة سأذكر لكم قصتها أيها الاخوة الكرام .. هذه السيدة الفاضلة كانت زوجة لأحد قضاة شوك الفلاة يدعى القاضي سالمون ، وكان هذا الفاضل يحب الأمانة والعدل ونصر الضعيف ورفع الظلم عن الفقراء والمساكين ، وذات مرة شكت إليه امرأة من عامة الشعب أن ابن الوزير المفقود منذ أيام قتل زوجها ، وأمر رجاله بنهب متجره الكبير في سوق المدينة ، واستمع القاضي لشكوى المرأة ، وذهب وعاين الموقع ، واستمع من أصحاب الحوانيت ، فدخل على الملك وطلب القصاص من ابن الوزير ، فغضب الوزير منه أشد الغضب ، ولكن مولانا القاضي طلب تحقيق العدالة ورفع الظلم والقصاص من القاتل ، وأصدر أمرا باعتقال ابن الوزير لمحاكمته محاكمة عادلة ، وحاول الملك تهدئة الأمر ، وثني القاضي عن هذه الحكومة ، وفي أثناء الجدال والمناورات قام أحد أبناء القتيل باغتيال ابن الوزير وهو في سجن القاضي ، افتعل الشاب معركة ولما حبس مع ابن الوزير فغدر به ، فجن الوزير واتهم القاضي بالتواطىء مع القاتل ،

فأمر بحبس واعتقال القاضي للتحقيق معه وبعد شهور حكم عليه بالقتل هو وابن القتيل الأول ، وصودرت أمواله وطردت زوجته وولداها ، كان للقاضي ولدان أحدهما خلدون ، وكان في ذلك الحين شاب ابن عشرين سنة ، وولد صغير اسمه عمارون ابن ثلاث سنوات ، المهم أن الأسرة ذاقت الذل والهوان والفقر بعد مقتل الأب القاضي حتى أن أقاربهم ابتعدوا عنهم خوفا من بطش الوزير ، وبعد سنة ونصف من مقتل القاضي سالمون حاول خلدون قتل الوزير ، فكمن له في طريقه ؛ ولكن الطعنة كانت ضعيفة وفاشلة فقبض عليه وأعدم بعد أيام والولد الآخر كما أخبرتني أمه أن رجلا مشفقا أخبرها أنهم يريدون قتله قبل أن يكبر، فأمرته أمه أن يشرد جهة الغابة الكبيرة ، وبعدها لم نسمع عنه شيئا ، فقد قيل أن الوحوش افترسته ، ومنهم من قال أن أحد الناس أخذه ورباه ، وظلت الأم تعيش في المدينة في بؤس شديد وشقاء مرعب حتى ماتت منذ سنوات قليلة ، فحزنت عليها ، وتركت الحي الذي كنت أسكن فيه ، وما كنت أظن أن أحدا في الدنيا يسأل عنها في يوم من الأيام إلى أن وجدت هؤلاء الرجال في انتظاري عند البيت ، وحدثوني بأمرك وحاجتك ، فجئت بدافع الفضول لأرى من هو الفارس المهتم بهذا الأمر بعد كل هذه السنين

كان شهدون ومن حوله من الرجال يبكون بحرارة وحزن عندما مات الأب والأخ ثم الأم ، وأخذوا يواسون أميرهم ويعزونه بألفاظ المواساة والصبر حتى أن الرجل شاركهم البكاء، وهو مدهوش لأمرهم، فتسأل عن ذلك فقيل له " إن هذا هو الابن الهارب الذي اختفى عمارون" .

تفاجأ العجوز وزاد نحيبه، وقام يعانق الأمير ويبكي ويحدثه عن أمه بحرقة وعن العذاب الذي تعرضت له من رجال الملك والوزير ، واستمرت الدموع والتنهدات تنزف، وشهدون كلما خفت الدموع يقول : حدثني يا سيدي الشيخ عن أمي المعذبة ..أمي المفجوعة بزوجها وولديها .. يا الله يا الله ! أرأيتم أيها الرجال كيف حفظني المولى لأنتقم من هؤلاء الظلمة والفجرة ؟ .. أرأيتم كم من التضحيات يدفع الإنسان من أجل إحقاق الحق ورفع الظلم ؟!

.. ولكن الطغاة لا يرون العدل ولا يحبونه إذا اقترب منهم ..أنا سيف النقمة يا طغاة شوك الفلاة .

وبعد ساعات من الذكريات والدموع الغزيرة هدأت نفس الأمير شهدون ، فرقد على فراشه ونام نوما عميقا .

بدأ التفكير في خطف القاضي الظالم أو المشارك في الظلم والذي حكم على سالمون بالموت فإذا هو كبير قضاة الملك خبرون، ونزل شهدون البلدة متنكرا بزي رجل فقير أعمى ولقي عيونه في المدينة ، وطاف حول قصر كبير القضاة ، وجمع المعلومات عنه وعن حركته ليرسم خطه نقله إلى الجبل ، وبعد تفكير ونظر رأى شهدون أن يتبعوا معه نفس خطة خطف الوزير يستدعى ليلا لقصر الملك ؛ لأنهم اكتشفوا أن رجال الحاكم لم يعرفوا الحيلة التي سقط فيها الوزير ؛ ولاعتقاد بعض الناس أن الوزير اختفى بنفسه ؛ لأن رئيس الحرس أخفى سر خروج الوزير ليلا ، ولما تهيأت الخطة نفذت بحذافيرها ، فكان كبير القضاة بعد أيام يجلس مع الوزير، فلما رآه دهش وتعجب الوزير من خطف القاضي ، فزاد خوفه وقلقه وتيقن القصاص والموت ، وطلب لقاء شهدون ، فرفض اللقاء بهم حتى يجلب إليهم الملك فهمس في أذن القاضي : ساعة الحساب دنت أيها القاضي !

فقال القاضي بخوف وتوتر : الانتقام ممن ؟!

فتبسم الوزير بغيظ من تظاهر القاضي بالبراءة وصاح : منا !.. لابد أنه عرف الحقيقة.. عندما دخل علينا بعد كل هذه السنين أشرت على الملك بقتله ، فقال "دعه إنه لن يعرف شيئا، ولن يستطيع فعل شيء" .. إنه ابن سالمون القاضي القديم .

جفل القاضي وصرخ فزعا وصاح : ويلاه! .. إنه الموت الأحمر !

دخل الرعب في قلب القاضي ، وأحس أن سيف العدالة فوق عنقه، وتسربت لنفسه الضحايا الذين فتك بهم بدون روية وإنصاف ورحمة، ضحايا المصالح والهوى والشهوة .

وتعجب الملك من اختفاء القاضي المشهور ، وقيل له خرج بعد منتصف ولم يعد، ولما دقق في

الأمر كم كانت دهشته عندما علم أن حرسيا من حرسه ذهب إليه في الليل يطلبه للملك! فأنكر الملك طلبه له ليلة أمس ، وعرف أنها حيلة لاصطياده ، فاتصل بحرس الوزير ووجد أن الأمر حصل مثله مع الوزير، فأحس وشعر بأصابع شهدون تتحرك وتعمل، فعادت به الذكرى إلى القاضي سالمون ومقتله، فردد بين جوانحه : هل حان سيف العدل والانتقام ؟! .. هل لي من لقاء بشهدون ؟.. ولكنه ترك البلدة ولم يعد .

طلب الوزير الجديد وحثه على البحث عن رجل اسمه شهدون ، وذكر له أهم أوصافه ؛ ولكن كيف يرون البحث عن رجل مجهول الإقامة؟!

أما شهدون فكان يفكر في خطة وحيلة لاختطاف للملك خبرون ونزعه من بين حراسة الأشداء ، وقال لنفسه : لن نعدم ثغرة نصل منها إليه .. العدل لابد أن يتحقق ويأخذ مجراه .. القصاص القصاص أيها الظلمة .

اندس رجال شهدون بكثرة في المدينة لرصد حركات وأخبار الملك ، وبعد حين قصير تحقق لديهم معلومات كافية عن قصور السلطان وأكثر الأماكن التي يتواجد فيها ويتردد عليها ، وكانت المعلومات تقدم وتوضع أمام شهدون ليجد فيها الثغرة التي يستطيع أن ينفذ منها إلى السلطان ، وكان البحث عن الوزير والقاضي قد خف ، وقد يئس رجال الشرطة من الوصول إليهما ، فقد خطفا بطرق محكمة غامضة ، وكان من الأخبار التي جمعت بين يدي شهدون عن الملك أنه أحيانا يخرج ليلا في نزهة على أحد القوارب في النهر الذي يحاذي المدينة ، ويخرج الملك من قصره عند النزهة البحرية عند نصف الليل ومعه بعض الحراس الأشداء إلى قصره القريب من النهر ، ويمكث فيه ساعة من الوقت ، ثم يصعد القارب مع أحد ندمائه والبحارة ويتجولون في النهر ساعة ثم يعودون للقصر النهري ، فقد رأى شهدون أن فرصة خطف الملك في النهر فرصة طيبة ومشجعة لأنهم لن يتوقعوا هجوما على الملك في النهر.. وبدأ يرسم الخطط المناسبة ، فقد قام رجلان من أصحابه بشراء قارب صيد من أحد الصيادين ، وتمرنا عليه ، وقاما بربطه في مكان مناسب من النهر حتى يخرج الملك في ليلة من الليالي للنزهة ، ثم

يتم اعتراضه في النهر ، ومن النادر أن يعمل الصيادون والملاحون في الليل في تلك البلدة ، وفي ليلة من الليالي وبعد طول انتظار أخبر شهدون بذهاب الملك إلى قصر الماء أو قصر النهر .. فقاد مجموعة من الرجال إلى موضع القارب الرابض على طرف النهر.. وبعد حين مر القارب من ناحيتهم ، وكان عليهم اعتراضه أثناء العودة للقصر ، فركب خمسة من الرجال على متن القارب ودخلوا وسط النهر ، فلما عاد قارب الملك اعترضوه فظن أصحاب الملك أنهم جماعة من السكارى والمتسكعين ؛ ولكنهم صعدوا قارب الملك بسرعة ، وبدأت معركة لم تدم طويلا لأن المفاجأة سهلت لهم الانتصار ، فكتفوا رجال الملك الأربعة ، وكمموا أفواههم ، وفعلوا بالملك المرعوب مثلهم وقادوهم للشاطئ ، وقد أصابهم الجزع والخوف الشديد ، وكان رجال شهدون ينتظرون على طرف النهر بين الأشجار ، وقد نزلوا بحذر شديد خوفا من أن يكون أحد سمع صراخ المعركة ، وبعد ساعات كان الملك خبرون أسيرا في الجبل يجلس بين يدي الوزير والقاضي ، وهو مصفر الوجه يشابه الأموات من الرعب ، فلما رآهم دهش وقال : من أتى بكم إلى هنا ؟! فاستمع لقصص خطفهم ، وروى لهم ما جرى معه بانذهال شديد ، وعند الظهيرة دخل عليهم شهدون وبعض الرجال والزعيم الأعور سلطان الزمان ، ورحب شهدون بالملك الأسير وقال : أيها القوم جمعتكم لقضية قديمة تعرفون تفاصيلها ..وهي مصرع والدي القاضي سالمون وأخي خلدون وأمي المعذبة.. فهل عندكم من دفاع وحجج تقولونها أمام هؤلاء الرجال لعلنا نمتنع عن القصاص العادل والانتقام الحاضر؟ .. هات أيها الوزير حجة تدفع بها عن نفسك العقاب .. ابنك قتل زوج المرأة ظلما وعدوانا .. فلماذا لم تمكن القضاء أن يقتص منه؟.. ألأنه ابنك؟! وأنت أيها القاضي لماذا أدنت سالمون القاضي المدافع عن الحق والعدالة واتهمته بالمشاركة بقتل ابن الوزير ؟ هات حجة ترفع بها عن نفسك القصاص.. وأنت أيها الملك تعتبر شريكا لهم في الجرائم .. قتل زوج المرأة ومقتل أبي وأخي خلدون .. فهل عندكم من شيء تدفعون به انتقامنا عن أنفسكم المجرمة فأسمعوننا إياه ؟!

صمتوا لم يتفوه أحدهم بكلمة، لم تسمع سوى لهاث أنفاسهم، وترى نظرات أعينهم الواهنة ،

فغادرهم وأمر شهدون بعودة جميع الأعوان من المدينة استعدادا للرحيل عن هذه البلاد، وبعد أيام تحرك الفرسان مع أسراهم الثلاثة ، وكانت طريقهم الغابة المشهورة ، ومكثوا فيها أياما ، ثم تحركوا إلى بلاد السمر ، فرحب بهم الملك همام ووزيره عيون ، ولما استقروا في ضيافة الملك حدثهم الملك عن غارات العبد دوان على المدينة ، ونشره الفساد والقتل والرعب في أطراف المدينة ، فقص عليه الأمير شهدون معركته معه ومع رجاله وهربه مقطوع اليد ، ثم قص عليهم قصته مع ملك شوك الفلاة ، فتعجبوا من جسارته على خطف الملك ووزيره وقاضيه ، وحزنوا لمقتل أبيه سالمون وأخيه خلدون ، فعرض عليه الملك الاستقرار في المدينة وتزويجه إحدى بناته الأميرات ، فاعتذر الفارس بعدم رغبته في الاستقرار في مكان واحد ، وعندما يفكر بالأسرة والأولاد يفعل الله ما يشاء ، فطلبوا منه المساعدة في القبض على العبد المتمرد دوان ، فطلب شهدون من سلطان الزمان رئيس القوم أن يختار له عشرة فرسان يتابعون معه المسير بالأسرى إلى كهف الشروق ، ويبقى الآخرون لمساعدة القوم حتى يعود من الكهف ، فسر الملك والأمراء بذلك، وقويت عزيمتهم بهؤلاء الفرسان الأشداء ، وتحرك شهدون ومعه عشرة فرسان على رأسهم جموح والأسرى الثلاثة ، واستمر السير حتى وصلوا للكهف بالأحمال ، معهم الطعام والثياب والهدايا لأهل الكهف من شيوخ شهدون وأصدقائه التلاميذ فاستقبلهم التلاميذ ، ورحبوا بهم والتقى شهدون بوالده بالكفالة حمدون ، وانسكبت بينهما الدموع والعبارات الصادقة بعد غياب أكثر من سبع سنوات ، وقد فوجئ بموت الزاهد بزغون ، وقد جلس على كرسيه الحكيم الزاهد حمدون ، وبعد الراحة قص شهدون على والده الزاهد مجمل حكايته الذي عاد لمعانقة ولده قائلا : لقد حزت الفروسية والشجاعة ، فقد مر بنا أحد تلاميذ الكهف من بلاد الفند ، وحدثنا عن أخبارك الطيبة ، وعجبنا لعدم وصولك إلينا مع أنك خرجت من تلك البلاد متجها إلينا ، وقد جاءنا رسول من الملك جهازون يطلب عودتك لبلاد الفند ، فقد تعرضت بلادهم لغزو جديد ، وقد هلك كثير من فرسانه ، ولحق بمدينة الملك برديس فهو في حالة قاسية فقد تحالف عليه خصومه.. فعليك يا ولدي يا

شهدون أن تذهب لمساعدته، فهو يجمع جنده الناجين في بلاد الملك برديس .. فقد أحزننا حالهم جدا .

تعهد الابن أمام والده بنصرة ملك الفند وقال : دعني أتابع حكايتي أيها الزاهد .. فقص عليه لقاءه مع قطاع الطرق ، والملك همام والبحث عن والدته ، ومن ثم قصته مع الملك خبرون ووزيره وقاضيه وثأره عندهم .. واستمع حمدون لقصة موت والد شهدون بحزن وبكاء، فبكى هو ومن كان عنده من التلاميذ وفي نهاية المطاف قال شهدون : فيا والدي العزيز جئت أطلب منك النظر في أمر هؤلاء الطغاة ، وهل يحق لي الانتقام منهم وقتلهم وتخليص البشر منهم ومن ظلمهم ؟ .

وبعد حديث طويل حول الموضوع ذهب حمدون وجلس مع خبرون ووزيره وقاضيه ، وذكر لهم مقتل القاضي سالمون ومقتل ابنه خلدون ، ومحاولة قتل الطفل عمارون ، وأمام حديث الحكيم حمدون قال الملك : صدق كل ما تفوهت به أيها الحكيم !.. لقد فعلنا ذلك في لحظات ضعف واغترار بقوتنا وسلطاننا؛ ولكن بعد هذه الرحلة في الجبال والوديان والذل الذي رأينا وحل بنا ألا يكفي هذا كفارة لنا ؟! .. فلنا أكثر من شهرين في ذل وهوان ، ونحن مستعدون أن ندفع أموالنا وملكنا لشهدون هذا ويغفر لنا جناياتنا ونسأل الله أن يتوب علينا .. إننا نادمون نادمون .

فقال حمدون : أيها الوزير أتقر بجرمك كما أقر سيدك الملك ؟

فقال الوزير والدموع تنساب على خديه : وهل بعد هذه المذلة والعذاب أن لا أعترف بما اقترفت يداي؟ .. لقد اعتادت نفسي على الجبروت والظلم يا سيدي الحكيم كنا نرى العدل والقصاص إهانة لنا وطعن في شرفنا كيف نتساوى نحن مع السوقة ونحن الأكابر والسادة ؟ ولكن بعد الحياة في الكهوف والسير في الجبال والوديان عرفنا الحياة ، أنا اعترف أنني غضبت من القاضي سالمون ، وأغريت الملك عليه والوقوف معي والتخلي عن القاضي بحجة أن لا نظهر ضعفاء أمام العامة من الشعب والأمة ، وأطلب الصفح ، وأنا مستعد لترك كرسي

الوزارة للأمير الشهم شهدون .

فالتفت الحكيم للقاضي قائلا : وأنت أيها القاضي وممثل العدل والتعاليم والآداب ؟

فتنهد القاضي وقال : آه ! ماذا أقول يا سيدي الحكيم ؟.. الفتنة واغراءات الوزير اثنتني عن الحق والوقوف معه ، ورأيت بجبني وربما بحسدي مصلحتي الوقوف مع الأقوياء .. نسيت قوة الله وعقاب الله .. نسيت عاقبة الظلم والعدوان .. أنا أقر بأنني تآمرت مع الوزير وبرضا الملك أن نتخلص من القاضي الأمين الشجاع سالمون وابنه خلدون .. وجرى ما جرى .. وفي هذين الشهرين نسيت السعادة والمال والعز والقوة يا سيدي .. العفو والصفح .

سكت حمدون حينا ثم قال : حسنا أيها القوم !.. فقتلكم بعد اعترافكم لن يعيد الحياة لسالمون والأموات ، وأنتم باعترافكم تستحقون الموت .. أمهلوني أياما حتى أنظر فيما سمعت منكم وأتشاور مع شهدون لعله يتنازل عن حقه.. فاعلموا أيها السادة أنه أحضركم إلى هنا حتى يرى أنكم تستحقون القتل بعد كل هذه السنين ، ولم يقتلكم في بلادكم حتى لا يقتلكم شهوة وهوى ، واعلموا كذلك أن شهدون ولدي بالرعاية والكفالة.. وأنا علمته الحكمة والعلم ، وأرسلته للملك جهازون يتعلم الفروسية ، فنجح فيها نجاحا يفرح القلب .. وسأجد في قلبه رحمة لكم لعلكم تعرفون الرحمة فيما بعد ، وبما بقي لكم من حياة .

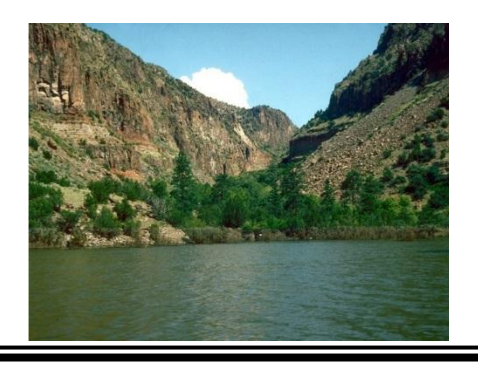
فهجموا عليه يقبلون يديه ، ويبكون ، وقد أحسوا بأمل في الحياة ، وتابع حمدون كلامه كأنه محذرا : مع أن التغير في طباع السادة والملوك ليس هينا .. سلام سلام .

تحدث الحكيم مع ولده شهدون بالحوار الذي حدث بينه وبين السادة الثلاث وإقرارهم وندمهم ورغبتهم في العفو والتوبة ، فأخذ شهدون بالبكاء والنشيج ، فتركه حمدون ساعة من الزمان ، ثم عاد إليه وقال : يا ولدي يحق لك أن تقتلهم فهم مجرمون سفاكون للدماء البريئة ، ويحق لك يا ولدي أن تعفو عنهم .. ولكني أرى أن قتلهم لن يعيد الأموات ، ولن يغير الحال وهم عرفوا الظلم وعاقبته ، وأن القصاص يأتي ولو بعد حين .. فالعفو عظيم لعلهم يغيرون من أسلوب حياتهم مع البؤساء والضعفاء ، ولك ثلاثة أيام تنظر في الأمر المناسب لك ..

ففكر على مهلك يا ولدي الطيب .

وبعد الأيام الثلاثة كان شهدون في حضرة والده ، وأخبره أنه اختار الصفح والعفو ، وتركهم لله يفعل بهم ما يشاء ، وبعد أيام كان الأسرى يغادرون الكهف الواسع إلى بلادهم شوك الفلاة، ومعهم تلميذ من تلاميذ الكهف لنشر تعاليم شردي، وغرمهم الحكيم إرسال مؤونة طيبة للكهف كل سنة ، وإرسال بعض التلاميذ ليتعلموا الخير وينشروه في مدينتهم ، ولما وصلوا بلادهم بسلام كانت البلاد في صراع على الحكم والملك ، ووجد الملك ولديه منقسمين لحزبين ، والجيش مقسوم بينهم ، ودهش الناس من عودة السلطان بعد هذا الغياب ، ومعه أيضا الوزير والقاضي .

وخلال أيام هدأت الأمور والنزاعات بين المتنافسين على الحكم والمناصب ، فغير الملك وبدل وعزل ، وأمر بنشر تعاليم الكهف والفيلسوف شردي في المدينة والمساواة بين الطبقات ، وأرسل مع تلميذ الكهف خمسة غلمان ، وقافلة من الطعام والثياب ، وتحميهم مجموعة من الفرسان ، فلما وصلوا للكهف سر الحكيم من ذلك وقال لشهدون : أرأيت عفوك ماذا صنع يا ولدي ؟! .. فها هي تعاليم شردي الزاهد تجد قبولا في مدينة شوك الفلاة .. وأطلب منك بعد هذا النصر على النفس وشهوة الانتقام أن تتحرك لمساعدة صديقنا القديم جهازون ، وأرجو أن لا يكون قد فات الأوان .



مصير شهدون

ودع شهدون والده ، وأخذ فرسانه العشرة وأسرع نحو بلاد الملك همام ، ولما وصلها وجد الأفراح تعم البلاد بسبب مصرع العبد الظالم دوان ، وقد صلب في قلب المدينة ، وقد أنعم الملك همام على الفارس جالود بسيف مرصع بالياقوت والزمرد ، وجالود هذا أحد فرسان الأمير شهدون ، فقد رتب كمينا لدوان فاستدرجه إلى طعم وفتك به وبرجاله ، وقد قص شهدون على مسمع الملك والأمراء ما فعله بالأسرى الثلاثة ، وأطلعه على مهمته الجديدة ، وأخبر رجاله بذلك ، ثم خيرهم بالبقاء في خدمة الملك همام أم السير معه إلى بلاد الفند ، فآثروا الرحيل ودوام الصحبة، فجرى لهم وداع تخللته ذكريات عميقة ، وأسف الأمراء لفراق هؤلاء الفرسان الشجعان الذين لا ينصرون إلا الحق ، ويدفعون أذى وشر الطغاة والجبابرة ويمنعون الظلم ، وتمنى لهم الملك النجاح في غايتهم القادمة وقال له مودعا : هذه مدينتكم في أي وقت أيها المغامرون الطيبون .. وسوف أرسل مجموعة من الغلمان لكهف الشروق للاستفادة من تعاليم الحكيم شردي، ونشرها في البلاد .. فهذا وعد مني بذلك .. وقد كنت أرغب بأن تكون صهرا لي ، فأنت إنسان لا يفرط بك ، ونحن مدينون لكم ولشجاعتكم .

وتعانق الرجلان ورافقوهم إلى ظاهر البلدة ، وعادوا لبلادهم ينعمون ببعض الهدوء والراحة بعدما قتل وهلك العبد الجبار دوان ، وسار الأمير المحارب شهدون ورجاله في الوديان والهضاب والجبال حتى أقبلوا على مدينة من المدن ، فلما أشرفوا عليها تذكر شهدون أنه دخلها من قبل ، وعاش فيها أياما مع العجوز شهبانة ، فأرسل بعض الرجال إلى أسواق المدينة ليتزودوا بالطعام ، وساق معه ثلاثة فرسان ومشى نحو بيت العجوز شهبانة ، ولما رأته العجوز عرفته على الفور وقالت بفرح ودهشة: الله! الله! كبرت أيها الفتى ! .. لابد أنك صرت فارسا وحققت غايتك ، فقد سمعت صهيل جوادك..أو معك فرسان .. أهلا أهلا بضيفي الصغير .

وأمرت العجوز جاريتها أن تقدم لهم الطعام والفواكه، وجلست تتحدث معهم، وقص

شهدون عليها بعضا من أخباره حتى أنها كادت ألا تصدق ما تسمع ؛ ولكنها لما رأت ما عليه من مخايل الفتوة والقوة والذكاء والعضلات والهيبة والفرسان والسيوف المزدانة بالجواهر أقنعت نفسها بصدق ما تسمع ، ثم سألها عن نفسها وعن أخبار الأمير زمرار وهل جلس على تخت أخيه ؟ فأصابتها الحيرة والاستغراب وقالت : أعرفت بقصة زمرار ؟

فضحك وقال: في الليلة التي جاءك هاربا متخفيا سمعت بعض الحديث بدافع الفضول أيتها العجوز .. أخبريني ما جرى لهم ولصاحبك حازم .

ضحكت العجوز شهبانة وقالت : إنك حذر وفطن وذكي الفؤاد يا شهدون .. لقد كان يجتمع هو وبعض أصدقائه عندي؛ ولكنهم فشلوا في مشروعهم ، ووقعوا في قبضة الأمير زيدان .. فمنهم من قتل ، ومنهم من هرب ، ومنهم من ألقي في السجن .. والأمير ما زال يقبع في السجن منذ سنوات ، وإني خشيت على نفسي ، وقبض عليّ ؛ ولكني ذكرت للقاضي أن بيتي مفتوح للأغراب والأضياف ـ وهذا أمر مشهور عني ـ ولا أهتم بمن يتآمر ويبيت عندي ، وشهد لي بعض الناس فتركوني ، وقد سلم المولى .. ثم تنهدت وقالت : آه! يا شهدون لو أنك فارس كما تدعي فتشفع لهذا الأمير المنكوب .

ابتسم الفارس شهدون ورد قائلا: ولكنه طامع في ملك أخيه ، فكيف يصفح عنه الملك ؟!

أجابت العجوز شهبانة : هو الابن الأكبر لوالدهم قسرون ، ولكن أمه ماتت وهو صغير، فأهمل الوالد تربيته بعدما تزوج من امرأة جميلة وداهية ـ وهي والدة الملك الحالي زيدان ـ فدفعت الأب بأن يجعل ولاية العهد لابنها ، ولما مات قسرون الأب التفت جماعة حول زمرار وأقنعوه بأنه الأحق بالولاية والحكم ، فطمعت نفسه لهذا المنصب، وهؤلاء الجماعة لهم مصالح ومطامع ، فخرج على أخيه بالسيف، فأباح الملك دمه فكبر الصراع ، وحاول زمرار وأعوانه إحداث فتنة تطيح بالملك زيدان ، فحدث الصراع بين أنصار الفريقين؛ ولكن أم الأمير زيدان استطاعت أن توقع به وبرجاله بالدس والحيلة والاغراءات حتى سقط ، فعطف عليه الملك زيدان ، واكتفى بحبسه، فهذه قصتهم بالتفصيل أيها الشهم .. فلو تشفعت فيه عند

الأمير ، فإنك تنقذ جاهلا ، وليمش في أرض الله الواسعة ، ولن يعدم بلدا تؤويه .

فقال شهدون بحماس : سأفعل إكراما لك أيتها العجوز الماكرة والتقي بالأمير زيدان فإن رضي كان بها ، وإن لم يرض لن أفعل شيئا.. فأنا ذاهب في مهمة ، ولست بحاجة لصراع جديد.. ولكن من أجل كرامتك عندي، ومعروفك عليّ في الأيام الخوالي يا عجوز شهبانة سنحاول .

تناول الفرسان الطعام عند العجوز، وما كادوا ينتهون من الطعام حتى أحاط جنود الملك بالبيت ، وتقدم عريف الجند وطلب مثولهم بين يدي صاحب البلاد ؛ لأنهم مقدمة لجيش غازي، وقد أسروا مجموعة أخرى في سوق المدينة ، فنهض شهدون عندما سمع الكلام والاتهام ، وودع العجوز وهو يبتسم لها ويقول : أرجو أن أتمكن من تحقيق رغبتك مع هذا الأمير أيتها العجوز الطيبة كل السلام عليك .

وخرجوا من بيت العجوز فإذا بالفرسان يقبضون على خيولهم ، فتكلم الأمير شهدون مع رئيس الجند بكلام لطيف، فترك الجنود الخيول لأصحابها ، وساروا جميعهم إلى قصر الأمير زيدان .

ولما دخل الأمير شهدون باب القصر وجد رجاله الخمسة الذين نزلوا إلى السوق أسرى مكبلين بالقيود وملقون على مدخل القصر ، فغضب شهدون لهذا المشهد ، ونزل عن جواده نحوهم وهو يصيح : من فعل بكم هذا ؟!

فاعترض طريقه الحرس وإذا بصوت في شرفة القصر يقول بصوت عال : نحن فعلنا بهم هذا وسنفعله معكم .

توقف شهدون عن المشي وأدار رأسه ونظر للأعلى وقال : لابد أنك أمير البلاد .. الأمير زيدان دهش السامعون وقال الأمير : آ.. إنك تعرفني أيضا .. من أنت ؟! ولأي الملوك أنت تابع أيها المجهول ؟!

فقال شهدون وهو يتبسم : أيها الملك ..أنا الأمير شهدون بن حمدون .. لعلك سمعت بهذا

الاسم من الركبان والتجار.

وشاهد الجميع أن شخصا يهمس في أذن الملك كلاما ، فنطق الملك على أثره : أنت شهدون بن حمدون فارس ملك بلاد الفند الملك جهازون.. الملك الهارب عند خصمه القديم الملك برديس .

فقال شهدون: نعم أيها الملك ! أنا فارس من فرسان الملك جهازون .. وبما أنك سمعت بنا فأطلب منك يا ملك هذه البلاد .. أن تأمر رجالك بفك أسر رجالي على الفور، ورد خيولهم وأموالهم .

تلفت الملك حوله وإلى رجاله وصاح : أتهددننا في عقر دارنا أيها المجهول ؟!

رد الفارس وفي صوته نبرة الضيق والغضب فقال : أيها الملك السعيد ! اعلم أنني في حالة من الغضب الشديد ..وإني أضغط على أعصابي قبل أن تنفجر بشدة لأول مرة في حياتي .. فأرجوك أن تأمر بفك القيود قبل فوات الأوان .

عجب الملك من هذه الجسارة ، وظن أن الرجل هو الملك وهو الخادم ، فأخذ يقهقه ويقول بغضب : إنك مغرور جدا يا هذا وصاح في الحرس : اقبضوا عليه أيها الجنود الجبناء .

وفي لمح البصر كان شهدون يمتشق حسامه ويحاكيه رجاله الثلاثة وفي دقائق خاطفة فكت قيود الرجال الخمسة ، وكانت معركة سريعة وخاطفة ، وبعد قليل كان فرسان شهدون الآخرون قد أتت بهم العجوز كما طلب منها شهدون خفية عن الجنود ، وفي ساعة كان الملك مأسورا بين رجال شهدون مطروحا على الأرض باحتقار شديد وفي دهشة مرتسمة على وجوه رجال القصر ، وأمر شهدون الأهالي الذين التموا على صوت المعركة بنهب القصر ، وبينما هم في ذلك حضرت بعض الكتائب بعد أن لملمت نفسها لتدافع عن البلاد؛ ولكنهم فوجئوا بأن الملك ووزيره وبعض الأمراء أسرى بين يدي الأمير شهدون وفرسانه الأشداء ، ونصحهم شهدون بالانصراف ، وقاد الأسرى إلى خارج المدينة ، وعمت الفوضى في المدينة من نهب وسلب ؛ فكأن الناس كانوا ينتظرون هذه الساعة ، ثم لحق أعداد غفيرة منهم بشهدون

وفرسانه وهم في استغراب لهذا الحادث العجيب، وتقدم بعض الأكابر من شهدون يتشفعون بملكهم المخطوف ، فأمرهم بالمسير للسجن وإخراج الأمير زمرار لتنصيبه ملكا عليهم ، فانصرف أكثر الناس إلى المدينة ، وخيم الهدوء على المكان فقال شهدون للأمير زيدان: كيف ترى نفسك الآن ؟!

فقال زيدان بانذهال واضح في ألفاظه : ما كنت أظن أني سأرى في حياتي رجلا مثلك بهذه الجرأة والقوة والسرعة والجنون!

فقال شهدون : لن أطيل معك الكلام .. هل تحب أن تعود لعرشك أم أضع أخاك مكانك ؟

فقال بانكسار : ماذا أقول وأنا في الذل والهوان ؟ فالأمر لك .. !

وكانت العجوز شهبانة التي سمعت بهذه الأحداث الكبيرة ، وقد أعجبت من سرعة شهدون بالعمل قد تبعت الناس ، وقد سمعت الحوار بين الملك وشهدون فتقدمت من شهدون وقالت : يا أمير شهدون أنا أمك شهبانة .. أطلب منك العفو عن الأمير زيدان وإعادته لملكه.. فالأمير زمرار رجل ضعيف ومريض لا يصلح لقيادة الناس، وسوف يعطف عليه أخوه الملك ويكرمه ويخرجه من السجن ويجعله من وزرائه .

فسكت شهدون بضع دقائق ثم أمر بفك قيود الملك وأعوانه ثم قال بقوة : أنا ذاهب لنصرة الملك جهازون الهارب .. وسأنفذ ما قالت العجوز الطيبة شهبانة للمعرفة القديمة التي كانت بيننا ..واحذر أن أسمع أنك غدرت بأخيك بعد ذهابنا ، وعليك بإكرام هذه العجوز .. وعليك أن تنسى ما جرى بيني وبينك .

وعاد الناس لمدينتهم بملكهم المذهول ، وتباطأت العجوز لتقول لشهدون : ما كنت أظن أنك بهذه القدرة والجسارة يا ولدي ! .. عندما أتيتني أول مرة كنت طفلا نحيفا رقيقا .. إيه عجيبة دنيانا ! وكم هي عجيبة !! .

مكث القوم حول المدينة أياما حتى تأكدوا أن الملك عفا عن أخيه وأكرمه ، فتحركوا إلى مدينة الملك برديس الذي تلقاهم بفرح وحبور شديدين ، وتألم شهدون لما حل بهم من الذل والهوان

وروى الملك جهازون له ما حل بمدينته من الدمار، فوعده شهدون خيرا ، وبدأ سريعا بإعداد الفرسان ، وما مضت بضعة شهور حتى كان بين يدي شهدون خمسة آلاف فارس مستعدون للثأر والموت ، فزحف بهم شهدون إلى بلاد الفند ، وبعد مسير طويل وصلوا إلى الطرف الغربي من المدينة ، فأرسل رسالة إلى نائب الملك زهمان الأمير مهران ، كان في الرسالة بضع كلمات "الحرب .. الحرب .. الحرب" تلقى الأمير الرسالة وأمر جيشه بالخروج لصد الأمير الفارس شهدون ، فجرت معارك بين الطرفين وذات يوم طلب شهدون مهران أمير البلاد للمبارزة ، فلما رآه شهدون تذكر أنه التقى به قديما ، فدهش الرجلان عندما شاهد بعضهما الآخر فقال شهدون : ويحك ألست ذلك السيد المعتزل في أرضه بعد موت أبيه وأخيه ؟!

وقال الآخر: ألست ذلك الفتى الذي ترك الكهف ؟! وكان قادما لهذه المدينة لتعلم الفروسية !

فقال شهدون بدهشة : نعم .. أنا شهدون وقد أصبحت فارسا بفضل الله .. لا أدري يا سيدي كيف سأبارزك وأنت قد وعدتني بأنك ستذكر لي قصتك إذا التقينا ثانية ؟! .. كيف سأسمعها إذا قتلت ؟ .. وكيف تسمح نفسي بذلك وقد أمضيت عندك أياما وأكلت طعامك وأخذت من مالك ؟! .. أين زهمان اللعين ؟

فقال مهران: أواثق من نفسك أيها الفارس ؟! .. فلنتبارز .. فأنا أعفيك من دمي ومن معروفي

فقال شهدون : لن أقتلك يا هذا .. أرسل لي غيرك .. أرجوك افعل ذلك ؟

فضحك مهران وقال : أنت حكيم تحمل أحلام شردي ، كيف أصبحت مغرورا ؟!

رد الفارس قائلا : لا ؛ ولكني واثق من نفسي أيها الفارس .

فقال مهران وهو يسحب سيفه ويهوي به على شهدون : إذن فلنتقاتل .

ابتعد شهدون عن الضربة الغادرة، وأخرج سيفه من غمده ، والتقى السيفان وبعد حين كان مهران أسيرا بين يدي شهدون ، وأمر شهدون رجاله بالهجوم ، ودارت معركة حامية الوطيس وهزمت الحامية التي تحكم المدينة ، وفرح الناس بانتصار شهدون وفرسانه ، ودخلوا المدينة التي فتحت أحضانها لفرسانها ورجالها، ولما علم زهمان بهزيمة جنوده في بلاد الفند أتى بنفسه

للانتقام ، فزحف بجيش جرار .

وكان جهازون قد أمد شهدون بجيش آخر، وعاد للبلاد بصحبتهم، وبجيش كبير من جنود الملك برديس على أثر النصر الذي حققه شهدون على رجال الملك زهمان.. ولما أتى جيش زهمان دارت معارك كبيرة ، وكان من نتيجتها مقتل زهمان، فزحف شهدون لبلاده ونهب خزائنه ، وزحف إلى بلاد الملوك الذين ناصروه ودمر مدنهم ، وخاصة مدينة الجلاء ، وخضع له ملوك تلك المدن ، واعتذروا له عن تحالفهم مع زهمان، واعتذروا للملك جهازون بأنفسهم ودفعوا أموالا كثيرة لهم ، وبعد سنة من القتال والطحان عاد شهدون والفرسان لبلاد الفند مظفرا منتصرا ، واستقر الملك لجهازون بحماية الفارس الحكيم شهدون وجيشه المظفر ، ورحب الناس بفارسهم والجنود الظافرين ، وصمم الملك على تزويج شهدون من إحدى بناته فاعتذر الفارس ؛ ولكن الملك أقسم الأيمان المغلظة على هذا الزواج ، وأمام هذا الإصرار من الملك والأمراء تزوج الأمير شهدون من الأميرة شموخ صغرى بنات الملك جهازون، ثم أذن شهدون لفرسانه الأربعين بالزواج من بنات الأمراء والوزراء والاستقرار في بلاد الفند في رعاية الملك جهازون .

ثم أرسل الملك جهازون أموالا وغلمانا لكهف الشروق، ورسالة للحكيم حمدون سيد كهف الشروق ووريث الحيكم شردي والحكيم بزغون ، أطلعه فيها على النصر وزواج ولده من ابنته ، وبينما الناس في غمرات الأفراح والعدل جاءت رسالة من أحد السجون رسالة من الأمير مهران ، فتذكره شهدون وذهب لزيارته بنفسه ، وفك قيده وأخرجه وهو يقول : أنت ضيفي وصديقي وقاده إلى قصره القديم وهو يقول : الدنيا دول يا سيدي !

فقال مهران : أنت السيد وأنا العبد .. والدنيا دول كما قلت .. عندما أتذكر اليوم الذي رأيتك في بستاني غلاما يقطع الفيافي والقفار وحيدا عجبت منك ، وأدركت أنك شجاع .. وأما أن أراك بهذه القوة والشجاعة ما فكرت بذلك قط أيها الصديق .. عندما علمت بقتلكم زهمان لم أكن أصدق ذلك .. إنه شرس عنيف دموي .. لقد كبرت وصنعت المعجزات أيها الامير !..

الدنيا ما لها أمان ..ولا يوجد فيها قوي !

بعد الضيافة كان شهدون يسأل مهران عن سبب تركه صيده وأملاكه ؟ فقال مهران : سأقول لك أيها الفارس النبيل .. كان أبي من رجال الملك عدون ملك بلاد الجلاء ، وكان لي أخ أكبر مني ، وأخ أوسط ، ولنا أخت واحدة تزوجها أحد الأمراء على كره منا نحن الاخوة أخي الأوسط تعلق بالعلم والفلسفة ، فسار نحو كهف الشروق ومكث خمس سنوات ثم عاد إلينا ، ثم اختفى بدون علمنا من جديد ، ونسيناه إلى أن كان يوما قتل فيه أخي الأكبر من قبل ابن عم الملك ، ولم نستطع فعل شيء ، فمات والدي حزنا وكمدا وحسرة ، ولا أملك قوة ولا حيلة ، وكنت متزوجا من إحدى الأميرات فطلقتها ، وقررت العزلة وسكنت في القرية التي مررت بها أثناء طلبك للفروسية في هذه البلاد ، وظللت على هذا الحال .. الهروب من الدنيا والناس ، ولقد كنت فارسا في حياة أبي .. وكنت أنزل المدينة لزيارة أختي المظلومة إلى أن حلت الكارثة بجيش زهمان ، ونجا هو من الموت ، فلجأ للملك عدون ، فأمده بجيش من الغزاة ، وأعاد الكرة على بلاد الفند حتى انتصر عليهم ، وشتت فرسانهم وأذلهم بعد سنين من الحرب والقتال ، وهو صديق قديم لي ، فلما أتم انتصاره زارني في عزلتي ، واقنعي بترك العزلة والحزن ، فوهبني حكم بلاد الفند مع حامية من رجاله وجنود الملك عدون ، فمكثت حاكما لها نيابة عن الملكين حتى عدت يا شهدون وانتصرت علينا.. ويا ليتني بقيت في عزلتي ! والآن ما أنت فاعل بي ؟!

ضحك الفارس شهدون كثيرا ، وقال ضاحكا : سأعطيك حمارا وصرة من المال تعود بهما إلى قريتك وتتابع عزلتك.. وأنصحك بالزواج لعل الله يهبك وريثا .. وكما ترى فالدنيا للأقوياء والفرسان يا فارس الصيد والقنص !



قصص وحكايات الفوارس

مغامرات وخيال وأحلام وأخلاق وأخيار وأشرار وفرسان وشجعان

كل هذا وغيره تجده وتقرأه في هذه السلسة من القصص

الممتعة والمثيرة والمسلية

١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جفر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك برბار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز وولديها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك